السبت 20 شباط 2021
العدد 4276 السنة الخامسة عشرة
Samedi 20 Fevrier 2021 nº 4276 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

حسين مروة
العاملي الأحمر

طارق البيطار محقّقاً عدليّاً في جريمة المرفأ: هل يُعيد تصويب التحقيق؟ [4]

تأليف الحكومة: الهروب من الأسئلة المصيريّة [2]

معركة طهران النووية
نقطة في مرمى واشنطن

[12 ـ 13]

تبدي إيران حذراً شديداً إزاء الصحوة الدبلوماسيّة الأميركيّة. فيما تُشدّد على ضرورة أن يسبق رفع كل العقوبات المفروضة عليها أيّ خطوة إيجابيّة من جانبها (أ ف ب)

تحقيق

الصناعة الوطنيّة... حرفة من الماضي
قطاع المفروشات: على الحصيرة

6

تقرير

«قسد» شريكة في حصار السوريّين

10

اليمن

«التحالف» يفشل في استعادة المبادرة
«داعش» و«القاعدة» يقودان معارك مأرب

10

المشهد السياسي

تأليف الحكومة: الهروب من الأسئلة المصيريّة

النقاش السياسي في لبنان لا يُقارب أصل المشكلة. يبقى محصوراً على مستوى الوزراء وأعدادهم ونزاع الصلاحيات بين الرباعيتين الأولى والثالثة، فيما العقدة في مكان آخر: شكل النظام السياسي والنموذج الاقتصادي في بلد يحتاج إلى توافق دولي ــ إقليمي، وتدفقات نقدية، حتى يستمر. فريق رئاسة الحكومة يُدافع عن نفسه، بأنّ جولات سعد الحريري الخارجية، التي يقوم بها كما لو أنّه رئيس حكومة «أصيل»، هدفها حلّ الأزمة الداخلية

حين رسم المُنتدبون على بلاد الشام الكيان اللبناني، لم يُقرّروا فقط أن يخلقوا بلداً يكون «همزة وصل» للنزاعات الإقليمية والدولية، بل دولةً لا تعرف «الاستقلالية» وتبقى عند كلّ هزّة بحاجة إلى «رعاية» خارجية لإحيائها من جديد. التطورات السياسية الأخيرة تُعدّ امتداداً لذلك التاريخ. ما يجري منذ تكليف سعد الحريري ليس «فقط» التشاور لتأليف حكومة جديدة، كما كان يحصل في السنوات الماضية. وليس النزاع بين رئاستَي الجمهورية ومجلس الوزراء مُجرّد صراع حول من يحصل على الحصّة الأكبر من النفوذ داخل الدولة. المُشكلة لا تتعلّق بـ«ثلث ضامن» وطريقة توزيع الحقائب، كما يوحي المعنيون بتأليف الحكومة. فكلّ تلك «المناوشات» المحلية ليست إلّا مظهراً

> عُرض على الحريري أن تُصبح أبو ظبي مقرّاً لعائلته، من دون أن يردّ سلباً أو إيجاباً
>
> في أسابيع قليلة، التقى الحريري حكام خمس دول نافذة في الإقليم

للعقدة الأساسية، وهي أنّ المطلوب من الجميع «مُباحثات تأسيسية» لمرحلة ما بعد انهيار النظام السياسي والنموذج الاقتصادي، وفقدان التوافق بين القوى السياسية ــ الحاكمة والمعارضة ــ على كلّ الخيارات. يُفيد التاريخ السياسي للبنان، أنّه كلّما بلغت الأزمات هذا المستوى من العُمق، لا يعود حلّها مُمكناً بـ«تبويس اللحى» وتبادل المقاعد بين «أهل البيت»، بل عبر توافق إقليمي ــ دولي، بواكبه التوافقات الداخلية، لا بل «يفرضُها» في معظم الأحيان. طبيعة النظام الذي كان قائماً أثبتت أنّ أي حلول داخلية تتمحور حول مقعد من هنا وتنازل من هناك، لن تكون مستدامة ما لم تتزامن مع «رضى» الدول «المانحة». تكرّر ذلك منذ ما بعد الاستقلال، واستمر بعد انسحاب القوات السورية في الـ 2005، فكيف الحال في واحدة من أسوأ الأزمات التي يشهدها التاريخ اللبناني الحديث؟ مُستوى الأزمة المالية والنقدية والاقتصادية يُعطّل مفاعيل أي «دفتر شروط» محلّي لترقيع النموذج أو محاولة إنعاشه، خال من الموافقة الأجنبية عليه. لكنّ اللافت هو في كون القوى السياسية الرئيسية، والمسؤولين الذين يعملون على «مبادرات»، يُصرّون على أنّ تأليف الحكومة

(هيثم الموسوي)

مُمكن بمجرّد التوافق بين الحريري والنائب جبران باسيل.

مُضت أربعة أشهر على تكليف الحريري تأليف الحكومة، ولا يزال النقاش محبوساً في دائرة كيفية توزيع الحقائب، علماً بأنّ لائحة من الأسئلة ينبغي أن تُجيب عنها القوى السياسية: ما هو النموذج الاقتصادي الذي سيُعتمد؟ أيّ نظام سعر صرف؟ كيف ستتم إعادة هيكلة القطاع المصرفي، وما هو دور الحاكم رياض سلامة في المرحلة المقبلة؟ وما هو مصيره بعدما تهشّمت صورته وظهرت محدودية قدرته على تنظيم عمل القطاع المصرفي، إضافة إلى فشله في تنفيذ وإجباته في الحفاظ على سلامة النقد؟ وما هي السياسة النقدية التي ستُعتمد بعد سلامة؟ هل يُجرى التدقيق الجنائي ويؤخذ بنتائجه؟ من هو الوفد الذي سيُفاوض صندوق النقد الدولي ووفق أي شروط؟ كيف ستُستكمل مفاوضات ترسيم الحدود الجنوبية ويُدافع لبنان عن سيادته النفطية؟ والأهم، من أين ستأتي الدولارات لتُسكّن مطالب «نموذج الإدمان على الدولار»؟ المصيبة أنّ هذه الأسئلة «المصيرية» ليست مُغيّبة عن مفاوضات تأليف الحكومة وحسب، بل منذ بدء الانهيار عام 2019. بالنسبة إلى رئيس الحكومة المُكلّف، هو يتّكل على المُبادرة الفرنسية، التي تضمّ بنوداً تفصيلية حول شكل الحُكم وهيكلية مصرف لبنان وأسماء الوزراء وقطاع الكهرباء والمياه... لذلك يعتبر، وغيره من القوى، أنّ تكرار تجربة «الدوحة 2008» مُمكن، في حال تمكّنت فرنسا من اجتياز الألغام الأميركية والسعودية، مُستحصلةً على موافقتهما على تطبيق خطتها. فواحد من الشروط الرئيسية لـ«نجاحها» يقوم على «تحرير» حِزَم الأموال، أكانت عن طريق برنامج مع صندوق النقد الدولي، أم قروض لتنفيذ مشاريع استثمارية. أكثر من تقع على عاتقهم مسؤولية البحث عن أجوبة لتلك الأسئلة هو سعد الحريري، لأنّه سيكون رئيس الحكومة في مرحلة الانهيار، ويُفترض به أن يتخذ قرارات الخروج منه. المُقرّبون منه يردّون بأنّه يقوم بجولات خارجية هدفها البحث في الوضع اللبناني وتعزيز مكانة رئاسة الحكومة الخارجية. فجولات الحريري ليست فقط تعبيراً عن رجل يُريد أن يحجز لنفسه مقعداً على «طاولة الكبار»، ويتبرّع ليكون «ناقل رسائل إيجابية» بين عواصم متصارعة. أمرٌ لافت أن يقوم بكل هذا النشاط الخارجي «رئيس مُكلّف» لم يحمل بعد ختم رئاسة مجلس الوزراء بين يديه. في أسابيع قليلة، التقى رؤساء وحكام خمس دول مؤثرة في الإقليم (تركيا، الإمارات، مصر، قطر، فرنسا)، ما يُشير إلى وجود قرار بالانفتاح عليه وتعزيز مكانته السياسية. تجلّى الأمر أمس بإعلان اللقاء مع ولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، بعد زيارته قطر. وقال الحريري إنّ النقاش تناول «عدداً من القضايا الإقليمية والدولية محل الاهتمام المشترك. كما تمّ البحث في موضوع جائحة كورونا وتداعياتها على المستويات المختلفة وسبل التعامل معها واحتواء آثارها». وكشف أنّه بحث مع ابن زايد «آخر التطورات والمستجدات على الساحة اللبنانية، وخاصة ما يتعلق منها بتأليف الحكومة الجديدة»، فأعرب وليّ عهد أبو ظبي «عن تمنياته بنجاح مهمة تأليف حكومة لبنانية تراعي المصلحة الوطنية وتتجاوز الخلافات وتكون قادرة على مواجهة التحديات المختلفة التي تحيط بلبنان». تحسّنت العلاقة بين الحريري والإمارات في الأشهر الماضية. وعلى ذمة مصادر واسعة الاطلاع، أدّت فرنسا دوراً في هذا التحسّن، حتى تحوّلت أبو ظبي إلى «محطة» في جولاته الإقليمية، وتُفيد المعلومات بأنّها قرّرت دعمه مالياً لتسيير شؤونه الخاصة، حتّى إنّها عرضت أن تُصبح مقرّاً لعائلته، من دون أن يرزّ الحريري على الطرح سلباً أو إيجاباً.

لكن، مهما كثرت الجولات الخارجية للحريري المكلّف بتأليف الحكومة، فإنها لا تعفيه، وشركاءه في تأليف الحكومة، من الإجابة عن لائحة طويلة من الأسئلة، أبرزها: ما الخطوات الواجب اتخاذها لوقف الانهيار، أو الحدّ من سرعته، تمهيداً للخروج منه؟ وهل يمكن تحقيق ذلك، بالسبل القديمة نفسها، و«عدّة الشغل» ذاتها؟

(الأخبار)

المصارف مستمرّة بالضغط على سعر الليرة

تراجع أمس سعر صرف الدولار قليلاً من 9500 ليرة للدولار الواحد إلى 9300 ليرة، بعدما انخفض الطلب على العملة الخضراء في السوق قليلاً، فضلاً عن دخولها مرحلة «الهدوء النسبي» التي تأتي عادة بعد الارتفاعات السريعة في سعر صرف الدولار.

إلا أنّ عاملين في سوق الصيرفة توقعوا أن يشهد الأسبوع المقبل المزيد من الضغوط على سوق الصرف، لأن المصارف لا تزال تسحب من السوق كميات كبيرة من الدولارات، لتتمكن من إعادة تكوين حساباتها الخارجية بما لا يقل عن 3% من مجموع الأموال المودعة لديها بالعملات الأجنبية، تنفيذاً لتعميم صادر عن مصرف لبنان. وتنتهي المهلة التي حددها «المركزي» للمصارف يوم 28 شباط الجاري، ما دفع الكثير منها إلى التسابق على «لمّ» العملة الخضراء من السوق. وبدأت بعض المصارف تعرض على صرّافين بيعهم شيكات بالدولار مقابل «الكاش»، بأقل من 29% من قيمتها!

(الأخبار)

تقرير

«حكومة من شخصين» تدير البلد بالاستثناءات

بعد ستة أشهر من تصريف الأعمال، لا يزال رئيسا الجمهورية والحكومة يختزلان الحكومة بأكملها. وعلى الطريق، يصبح توقيع 150 قراراً ومرسوماً استثنائياً أمراً عادياً. فيما انعقاد مجلس الوزراء يبقى من المحرّمات، حتى لو كانت الغاية تصريف الأعمال بالمعنى الضيق

إيلي الفرزلي

يُعيد الرئيس حسان دياب ويُكرر أنه لن يدعو مجلس الوزراء إلى الاجتماع في فترة تصريف الأعمال. يتعامل مع قراره بمبدئية لا تتناسب مع الظروف الراهنة. قناعته تلك لا تُميّز بين اجتماع لإقرار الموازنة أو اجتماع لإقرار قبول هبة، كله سيّان بالنسبة إليه. يُجاهر بذلك ويعتبره موقفاً يحمي الدستور. حتى إن من زاره أخيراً من هيئة التنسيق النقابية معترضاً على مواد في مشروع الموازنة، طمأنه إلى أن «الحكومة ليست في وارد الاجتماع لأنها في حالة تصريف الأعمال».

في المقابل، لا ضير بالنسبة إلى رئيس الحكومة في أن يصل عدد القرارات الاستثنائية إلى 150 قراراً ومرسوماً استثنائياً وُقّعت خلال ستة أشهر. ليس النقاش هنا مرتبطاً بما إذا كانت هذه القرارات تقع فعلاً في خانة الإطار الضيق لتصريف الأعمال أو لا. في الأساس، اصطلح بين القانونيين أنه كلما طالت مدة تصريف الأعمال وجب توسيع مفهومه، بما يسمح بالتعامل مع المتطلبات المتزايدة لإدارة الدولة ومرافقها. وهذا قول يُصبح أكثر إلحاحاً في الحالة اللبنانية، حيث الانهيار الشامل يطاول كل القطاعات.

يقول الوزير السابق بهيج طبارة إن الممارسة في لبنان وفي الخارج أثبتت أن «تصريف الأعمال» هي عبارة مطّاطة تضيق وتتسع حسب الظروف التي يمر بها البلد. لذلك يمكن القول إنّه كلما طالت مدة الأزمة الوزارية نتيجة تعثّر تشكيل الحكومة الجديدة، ازدادت احتمالات حدوث أوضاع أمنية أو استحقاق مواعيد دستورية أو مالية أو حصول كوارث طبيعية تستدعي معالجة سريعة، فتضطر حكومة مستقيلة إلى الانعقاد وممارسة صلاحيات كاملة لحفظ أمن البلد وسلامة المواطنين». كلام طبّارة تؤكده سوابق عديدة. لطالما اجتمعت حكومة في فترة تصريف الأعمال لاتخاذ قرارات ضرورية. في عام 1969 اجتمعت حكومة الرئيس رشيد كرامي المستقيلة لإقرار الموازنة. وفي عام 1973، اجتمعت حكومة الرئيس أمين الحافظ قبل نيلها الثقة لإقرار حالة الطوارئ، وفي عام 1979 عقدت حكومة الرئيس سليم الحص اجتماعاً لإقرار المراسيم التنفيذية لعدد من القوانين. وفي عام 2013، عقدت حكومة الرئيس نجيب ميقاتي المستقيلة اجتماعاً أقرّت فيه تعيين هيئة الإشراف على الانتخابات... لكن هذه السوابق لا تجد من يعتدّ بها، لأن رئيس الحكومة قرّر أنه من دون طلب من مجلس النواب، لن يدعو مجلس الوزراء إلى الاجتماع.

في الظروف العادية، حيث الحكومة مكتملة الصلاحية، عندما تُطرح مسألة على التصويت لا يكون لرئيس الجمهورية حق التصويت ويكون لرئيس الحكومة صوت واحد من أصل 20 وزيراً، أو ثلاثين... لكن في الحالة الراهنة يكفي ليمرّ أي قرار أو مرسوم أن يوقّع عليه الرئيس ميشال عون والرئيس دياب والوزير المختص أحياناً. أما البقية من الوزراء، فلا قيمة لأصواتهم، وهم بالكاد يعرفون بما يقرّ، إلا إن كان يخصّ وزاراتهم، وبعضهم من انتهى دوره أصلاً مع استقالة الحكومة. هؤلاء بحجة تصريف الأعمال، تخلّوا عن دورهم الطبيعي بالمشاركة في اتخاذ القرارات الحكومية. ولذلك، صار عادياً أن يختصر رئيسا الجمهورية والحكومة مجلس الوزراء، حتى وصل الأمر إلى إقرارهما مراسيم تحتاج إلى ثلثي الحكومة لإقرارها، ولا سيما منها التمديد لموظف فئة أولى (تمديد تكليف باسم القيسي رئاسة لجنة إدارة واستثمار مرفأ بيروت) أو إقرار اتفاقيات دولية (قرض البنك الدولي) ومن ثم توقيع مرسوم إحالتها إلى مجلس النواب. في الحالة الأخيرة، تحوّلت اللجان النيابية للقيام بدور مجلس الوزراء في مناقشة بنود الاتفاقية، كونها هي عملياً السلطة الدستورية الأولى التي تدرسها، بعد المفاوضات التي جرت بشأنها ومن ثم توقيعها. الظروف الاستثنائية سمحت للرئيس نبيه بري بتسلّم مشروع قانون من حكومة مستقيلة، لكن الظروف نفسها لم تستدع اجتماع الحكومة!

دستورياً، تكتفي المادة 64 من الدستور بالإشارة إلى أن «لا تمارس الحكومة صلاحياتها قبل نيلها الثقة ولا بعد استقالتها أو اعتبارها مستقيلة إلا بالمعنى الضيّق لتصريف الأعمال». الإشارة تلك لا تلزم المجلس بالانعقاد أو بعدمه، لكن طالما أن لا إشارة إلى ذلك، فإن الأولى بحسب مصدر قانوني هو الاجتماع، لأن القرار سيكون أكثر

> **هيئة التشريع: لا مبرّر للقرارات الاستثنائية إلا إذا كان اجتماع الحكومة مستحيلاً**

صدقية وثقة وقوة في وجود 20 وزيراً، المصدر الذي يرفض الكشف عن اسمه، «حرصاً على عدم استثمار موقفه في السجالات السياسية»، يؤكد وجوب أن تعمد الحكومة مجتمعة، إلى تصريف الأعمال. وأكثر من ذلك، يرى أنه مهما كان موقف القوى من اجتماع مجلس الوزراء باعتباره مخالفاً لمبدأ تصريف الأعمال، فهو حكماً أقل وطأة من اعتماد القرارات الاستثنائية التي تُخالف أبسط القواعد الدستورية. فالقرار الاستثنائي يعني أن يُعاد عرض القرار على الحكومة الجديدة على سبيل التسوية، بينما اجتماع الحكومة واتخاذها لأي قرار يزيل الحاجة إلى هذا المسار غير الدستوري، بالنسبة إلى معظم الخبراء الدستوريين.

هيئة التشريع والاستشارات نفسها سبق أن أكدت، في أكثر من استشارة، جواز، لا بل ضرورة اجتماع الحكومة لاتخاذ القرارات. في الاستشارة الصادرة في 2 أيلول الماضي، والمتعلقة بالانتخابات الفرعية في ضوء إعلان حالة الطوارئ في بيروت حينها، أشارت إلى أنه «حيث إن صدور المرسوم بتمديد حالة الطوارئ بناءً على موافقة استثنائية لا يغني عن اجتماع مجلس الوزراء بهيئة تصريف الأعمال وفقاً للمادة 64 من الدستور، إذ إن الموافقة الاستثنائية يُلجأ إليها إن كان ثمة استحالة لاجتماع مجلس الوزراء، سواء لممارسة صلاحياته الكاملة أو لممارسة صلاحياته بالمعنى الضيق». رئيس الحكومة لم يجد في هذه الاستشارة التغطية التي يحتاج إليها. المطلوب تغطية سياسية لا قانونية، إلا إذا كان مقتنعاً بأن ثمة «استحالة» لاجتماع مجلس الوزراء.

دياب يرفض اجتماع مجلس الوزراء من دون تغطية سياسية (هيثم الموسوي)

علم وخبر

التحقيق بجرائم الصرّافين... ممنوع

خُتِمَت جميع التحقيقات المتعلّقة بملفات الصرّافين والتلاعب بالعملة التي كانت تتولّاها مفرزة الضاحية القضائية. وعلمت «الأخبار» أن ضغوطاً من قبل قطاعَي المصارف والصرافين، كما من قبل مراجع قضائية وأمنية، عبّرت عن الانزعاج من الدور الذي تؤديه هذه المفرزة لضبط وتوثيق عمليات التلاعب بسعر صرف العملة، ما أدى إلى سحب الملفات بذريعة أنّ مكتب مكافحة الجرائم المالية المهمّة وحده المختصّ بهذا النوع من الجرائم.

هلع في المبنى الاحترازي

ورد العديد من الاتصالات من سجناء نزلاء في المبنى الاحترازي في سجن رومية المركزي مصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة (السيدا) يتحدثون عن إصابة شخصين من بينهم بفيروس كورونا، جرى نقلهما ليُجحرا في المستشفى. ويتحدث السجناء عن حالة هلع يعيشونها على اعتبار أنّ مرضهم عبارة عن نقص في المناعة، ما يعني أنّ إصابتهم بفيروس كورونا يعرّضهم لخطر الموت.

فرار من الأجهزة الأمنية

ترصد الأجهزة الأمنية (الأمن العام والجيش وقوى الأمن الداخلي) فرار ضباط وعناصر من أفرادها لأسباب اقتصادية. وعلمت «الأخبار» أن بعض هؤلاء كان يطلب ماذونيات للسفر، من دون أن يعود، فيما يعمد آخرون إلى الهرب داخل البلاد، من دون أن يُعاودوا الالتحاق بالأسلاك التي يعملون فيها. ويبرر بعض «الفارّين» خيارهم بأن رواتبهم لم تعد تكفيهم لسدّ حاجاتهم الأساسية. ويرفض قادة الأجهزة طلبات الاستقالة المقدمة من ضباط من رتبة مقدم وما دون، إلا إذا استغنوا عن كل مستحقاتهم المالية التي يمكنهم الحصول عليها بعد الاستقالة.

قضية اليوم

نجم ـ مجلس القضاء: استنساخ صراع عون ـ الحريري

صحّ أن المعنيين بتعيين محققٍ عدلي جديد جادون في القرار بأن توافقوا ليلاً على ما اختلفوا عليه نهاراً، أضف - للمفارقة المفيدة المستغربة - أن أيّاً من الجهات السياسية حاذر الإيحاء بمرشح أو رفض آخر. ليس تعفّفاً بل تفادياً للإحراق الأصابع

استيعاب نقمة الشارع عجّلت في التوافق على محقق عدلي جديد (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

يوم طويل في قصر العدل، من قبل الظهر حتى ساعة متقدمة من المساء، ما بين الوزيرة ماري كلود نجم ومجلس القضاء الأعلى والمدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات، انتهى ظهراً بتوجيه نجم إلى مجلس القضاء، عند الأولى والنصف، كتاباً ضمنته اقتراحها تسمية القاضي سامر يونس محققاً عدلياً في ملف انفجار مرفأ بيروت خلفاً للقاضي فادي صوان. سرعان ما أجاب المجلس بكتاب آخر رفض فيه يونس. سبق توجيه الكتاب الأول قبل الظهر اجتماع عقدته نجم مع رئيس مجلس القضاء الأعلى القاضي سهيل عبود. ردّاً على رفض الاسم، طرحت الوزيرة مساء، بعد اجتماع آخر مع عبود، اسم القاضي طارق بيطار، ما لبث أن استدعاه المجلس إلى الاجتماع به، بعدما كان القاضي التقى نجم. في ساعة متأخرة من المساء، وجهت إلى المجلس كتاباً يقترح اسمه، فوافق. احتاج إقناعه إلى تدخل أكثر من طرف. ليست المرة الأولى يؤتى عليه. قبل تعيين صوان في 13 آب 2020، اقترحته نجم بيد أنه تحفظ. على نحو كهذا تلاحق طرح الأسماء والرفض المتبادَل، إلى أن أفضى إلى الخاتمة.

منذ انطلاق مساعي قبل ظهر أمس، طرح مجلس القضاء ثلاثة قضاة يميل إلى تأييد اختيار أحدهم للمهمة، هم قادي عنيسي وغادة بوكروم وسامر ليشع، على أن الأول يحظى بالأفضلية بين القاضيين الآخرين، خصوصاً لدى رئيس المجلس.

لأن آلية التعيين صلاحية متشابكة بين مرجعين، ملزمة موافقتهما لصدور القرار، على نحو مطابق لما يدور بين قصر بعبدا وبيت الوسط للتوصل إلى تأليف حكومة جديدة، يُمسي توافق نجم ومجلس القضاء الأعلى حتمياً وضرورياً. الوزيرة تقترح، بيد أن إصدار القرار يمرّ بموافقة المجلس عليه. اللعبة معكوسة كذلك: لا يكفي مجلس القضاء اختيار اسم لا تقبل به الوزيرة. يحدث ذلك ما بين الرئيسين ميشال عون وسعد الحريري.

اليوم الطويل في قصر العدل، غداة إصدار محكمة التمييز الجزائية قرارها نقل ملف انفجار مرفأ بيروت من صوان إلى قاضٍ آخر، بدأ باكراً باتصالات واجتماعات بين الوزيرة والمجلس، دخل على خطها عويدات، أضف جهة رسمية تولّت الوساطة ما بين الأفرقاء الثلاثة، فحملت اقتراحات من هناك إلى هناك وبالعكس، دونما انقطاع تواصل ذوي الشأن. بدأت هذه المحاولات منذ مساء الخميس وتواصلت البارحة.

فحوى ما دار في الساعات الطويلة تمحور حول المعطيات الآتية:

1 - لأنها صاحبة صلاحية الاقتراح والإصدار، اختارت وزيرة العدل القاضي سامر يونس للمرة الثانية. كانت اقترحته للمرة الأولى قبل صوان، إلّا أن رئيس مجلس القضاء الأعلى رفضه. طرحت وقتذاك اسماً ثانياً هو القاضي طارق بيطار، إلا أن الأخير تحفّظ عن قبول المهمة. فصُرف النظر عنه. مستمرّجة رأي رئيس المجلس، أبدت أمامه رغبتها في اقتراح القاضية أماني سلامة، فرفض أيضاً، كون سلامة - رئيسة نادي القضاة - اتخذت موقفاً سلبياً للغاية من المجلس وقادت باسم النادي حملات واسعة من الانتقادات حيال ما يجري في المؤسسة. عندئذ طرحت نجم اسم صوان، فوافق المجلس بعد تحفّظ. في جانب من أسباب اختياره، وكأن يشغل منصب قاضي تحقيق عسكري أول، أنه سيتولّى التحقيق في ملف انفجار المرفأ فيما لو أحيل إلى القضاء العسكري. ناهيك بما عُرف عنه كقاضٍ كفيّ، قبل أن يعطب بنفسه دوره في ما بعد بكمّ كبير من الأخطاء القانونية ارتكبها، قاده إلى استبعاده ونقل الملف منه، لم يكن التدخّل السياسي في منأى عنه.

2 - دخلت الشخصية الوسيطة على خطّ التواصل بين الأفرقاء منذ مساء الخميس بأن نقلت عن المدعي العام التمييزي، الذي رغب في الاضطلاع بدور بين الوزيرة ومجلس القضاء، اقتراحه أحد اسمين محقّقاً عدلياً هما قادي عنيسي يؤيده القاضي عبود والآخر جون قزي يرشحه عويدات بالذات. وافقت الوزيرة على قزي، بيد أن مجلس القضاء عارض. إذذاك انطلق الحديث إلى اسم آخر هو سامر يونس، عاودت نجم طرحه مجدداً، بعدما أخفقت في تعيينه محققاً عدلياً قبل صوان في 13 آب. كمنت حجة مجلس القضاء الأعلى في الاعتراض عليه في المرة الأولى في صغر سنه، ما يجعله يفتقر إلى الخبرة الكافية، فيما أعطت التجربة المخضرمة المخيبة لصوان أمثولة معاكسة أدت إلى نقل الملف منه.

3 - منذ صباح أمس توسّعت الاقاويل في قصر العدل متوقّعة تعيين المحقق العدلي الجديد اليوم ذاته، وإن اقتضى إمرار النهار بطوله. رمى تسارع الاتصالات إلى استيعاب ردود الفعل المتباينة، الحادة في معظمها، حيال كفّ يد صوان كما لو أنه تولّى تجميد التحقيق في انفجار مرفأ بيروت. عزز هذا الاهتمام تحرّك أهالي الضحايا والمتضررين من الانفجار في الشارع.

4- يرتبط اختيار المحقق العدلي الجديد بالمهمة المنوطة به، وهي أن لا يقع في الثغرة التي خلّفها وراءه سلفه الذي بدأ من خاتمة الحدث. ما يُدعى إليه الخلف، تبعاً لمراجع قضائية معنية، أن يبدأ من الشق الرئيسي المتصل بالانفجار نفسه وهو واقعة 4 آب، وكيفية حصولها - ناجمة عن عمل إرهابي أم عن تقصير - قبل الخوض في المسؤولية التقصيرية والإدارية. وقبل البحث في الجهات التي أتت بنيترات الأمونيوم؟ من شأن هذه المقاربة الفنية والتقنية إيجاد حلول أولى لمشكلات جمة مرتبطة بالانفجار، بدءاً بالتحقق من طبيعته، وصولاً إلى إنهاء الشكالية العالقة بين الأهالي المتضررين وشركات التأمين التي تنتظر تحديد طبيعة الانفجار، خصوصاً أن تقارير الأجهزة الأمنية تحدثت عن حريق تسبب بالانفجار، فيما تتذرع شركات التأمين بحصول عمل إرهابي لم تتحقق من أدلته. من ثم تتشعب التحقيقات في مصدر المواد المتفجرة والمسؤوليات المترتّبة على الإهمال والتقصير.

> **اشتباك صلاحيات الوزيرة ومجلس القضاء يستوحي ما بين بعبدا وبيت الوسط**

وفي قضية نيترات الأمونيوم، لم يكن صوان قد كوّن قناعة بشأن ما إذا كانت هذه الشحنة قد أُرسلت الى لبنان لتُحفظ على الأراضي اللبنانية، على أن تُستخدم لاحقاً في مكان آخر. ولم يتبيّن بعد وجود نية جرمية مقصودة وراء تخزين النيترات، أو أن ذلك نتج من «تراكم مجموعة من الصدف». وفي جميع الحالات، ثمّة قضاة قرروا تفريغ الباخرة وتخزين النيترات وإبقاءها في المرفأ، من دون أن يكلّف صوان نفسه عناء الاستماع إلى إفاداتهم.

يوم أول من أمس، طُويت صفحة صوان. ويوم أمس، بلغ الكباش أشدّه. وعلى إيقاع الضغط الإعلامي واعتصام أهالي شهداء الرابع من آب، اقترحت وزيرة العدل ماري كلود نجم اسم القاضي سامر يونس ليُعيَّن محققاً عدلياً في الجريمة، خلفاً للقاضي صوان. المُبعَد بقرار من محكمة التمييز الجزائية، «للارتياب المشروع». غير أنّ مجلس القضاء الأعلى جدّد رفضه للمرة الثانية الموافقة على القاضي يونس الذي سبق أن رُفض اسمه في آب الماضي. بعد الرفض أمس، أرسلت نجم إلى مجلس القضاء الأعلى اسم القاضي طارق البيطار. في آب الفائت، كانت قد فعلت الأمر نفسه. وحينذاك، نُقل عنه أنّه رفض تولّي التحقيق العدلي. غير أنّ مصادر قضائية أكّدت أنّ البيطار لم يرفض يومها، إنما أبلغ مجلس القضاء الأعلى أن هذه المهمة لا يجب أن يكون عليها قيود وحدودها مفتوحة. وقال حرفياً: «لست متحمّساً، لكن إذا سُلّمت هذا الملف فسأمضي فيه حتى النهاية». غير أنّ مجلس القضاء الأعلى اعتبر ذلك تردداً، فأبلغ وزيرة العدل بأنّ البيطار يرفض أن يكون محققاً عدلياً في جريمة المرفأ.

وقال عدد من القضاة إن بعض أعضاء مجلس القضاء الأعلى كانوا يريدون إطاحة البيطار، فعمدوا إلى تشويه موقفه، ليتمّ تعيين القاضي صوّان محققاً عدلياً. في المقابل، أكّدت مصادر قضائية أنّ موقف القاضي البيطار أمام مجلس القضاء أوحى بأنّه لا يُريد المهمة، إذ قال في المجلس إنّه إنْ لم يكن هناك قاضٍ غيره على استعداد لتولي المهمة، فإنّه سيتولّاها. وهذا ما فهمه أعضاء المجلس بأنّه رفض، علماً بأنّ زملاء للقاضي البيطار قد نقلوا عنه أنّه اعتذر لأنّه لن يُسمح له بتطبيق العدالة، وهو لن يكتفي بتطبيق القانون إن لم يُحقق العدالة لأهالي الضحايا.

وقد تكرر المشهد نفسه أمس. وبعدما اقترحت وزيرة العدل اسم البيطار، استُدعي إلى مجلس القضاء الأعلى للتشاور معه، فأبلغ الحاضرين استعداده لتولي هذه المهمة، لكنه لا يطلب المركز وأنّه إذا كُلّف فسيمضي حتى النهاية. وفي الخلاصة، وافق مجلس القضاء الأعلى أمس على تعيين البيطار محققاً عدلياً جديداً، على أن يصدر مرسوم تعيينه قريباً.

ابن بلدة عيدمون في عكار، التحق بسلك القضاء بعد تدرّجه في المحاماة، ليكون بين الأوائل في معهد الدروس القضائية. وكان قد ذاع صيته بعد إصداره حكماً بالإعدام على طارق يتيم في قضية مقتل جورج الريف، وحكماً مماثلاً على محمد الأحمر في جريمة قتل روي حاموش. منذ يوم أمس، بات أمام اختبار جديد: فهل سيمضي بالطريقة الاستنسابية نفسها التي عمل بها سلفه القاضي صوان؟ أم أنه سيفتح التحقيق على كل الاحتمالات، ومن دون الوقوف عند الحصانات، سياسية كانت أو قانونية؟

> **في آب الماضي، الصف بالبيطار موقف رافض لتولّي التحقيق، تبيّن انه لم يقله**

طارق البيطار محقّقاً عدليّاً: هل يُعيد تصويب التحقيق؟

وقع الاختيار على رئيس محكمة الجنايات في بيروت القاضي طارق البيطار ليكون محققاً عدلياً في جريمة انفجار مرفأ بيروت. البيطار الذي رشّحته وزيرة العدل للمنصب نفسه في آب الفائت، استعجل مجلس القضاء الأعلى عدم الموافقة عليه، بذريعة أنّه «لا يُريد أن يتولى التحقيق لأسباب خاصة». قبل أن يتبيّن أنّه كان موافقاً على القيام بالمهمة. اليوم، بات البيطار محققاً عدلياً. فهل سيُعيد تصويب التحقيق في أكبر انفجار شهده لبنان؟

رضوان مرتضى

لم تتوقف تداعيات إبعاد القاضي فادي صوّان عن التحقيق العدلي في انفجار مرفأ بيروت، وسط انقسام حيال مصير التحقيق والحقيقة المتوخّاة منه. فهل طُيّر التحقيق، أم أنّ هناك فرصة لكشف حقيقة ما جرى في مرفأ بيروت إذا أُعيد تصويب مسار القضية؟ المتحدثون عن حياكة مؤامرة لتطيير صوّان لجرأته على القول بأنّه «لن يقف عند حدود أي حصانة»، نسوا أنّ صوّان نفسه لم يستدع أحداً من القضاة المسؤولين عن تعويم السفينة روسوس وتخزين 2700 طن من نيترات الأمونيوم في العنبر الرقم 12 في مرفأ بيروت، وآخرين أبقوا على «القنبلة» حيث انفجرت بعد أكثر من 6 سنوات من التخزين. القاضي الذي قال إنه لن يعبأ بالحصانات، تذرّع بوجود أصول خاصة للملاحقة القضاة ليتلطّى وراءها. محكمة التمييز الجزائية التي قررت أول من أمس كفّ يد صوان عن متابعة التحقيق، كانت قد سألته عن سبب عدم استدعائه القضاة الواردة أسماؤهم في ملف انفجار المرفأ، وما إذا كان ذلك من قبيل التعمية على تقصيرهم والمحاباة لكونهم زملاء له، فأجاب بأنّه ليس مختصّاً بملاحقة القضاة. في هذه الحالة، ثبّت بنفسه حصانة لزملائه، في جريمة محالة على المجلس العدلي. يخشى صوّان بقصد أو بغير قصد، أنّ الإحالة على المجلس العدلي تُعطل كل صلاحيات المحاكم الخاصة. فعلى سبيل المثال، إذا ارتكب ضابط جرماً وأُحيل الملف على المجلس العدلي، فإنّ الضابط المشتبه فيه لن يلاحَق أمام محكمته الخاصة وهي المحكمة العسكرية، إنما سيلاحَق أمام المجلس العدلي. كذلك الأمر بالنسبة إلى فرضية قيام قاضٍ بإدخال متفجرات إلى قصر العدل وتفجيره، ثم أحيل الملف على المجلس العدلي. ففي هذه الحالة، لن يلاحق بصورة مغايرة عن أي مشتبه فيه ثانٍ، بل سيُحاكمه المجلس العدلي.

تقرير

برنامج الأغذية العالمي وقرض «الأكثر فقراً»: نحن «المرجعيّة»... «بالتعاون» مع الإدارة اللبنانيّة

قدّم برنامج الأغذية العالمي «الشروط المرجعية» حول تفاصيل قرض البنك الدولي لدعم الأسر الأكثر فقراً إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لإبداء الرأي فيها. لدى الأخيرة ملاحظات عدّة على الشروط الموضوعة، أبرزها استمرار «البرنامج» والبنك الدولي في الاستفراد بإدارة المشروع. وتفريغ الدور المفروض أن تقوم به الإدارة العامة، لتحويلها إلى «مُراقِب» مُجرّد من الصلاحيات. برنامج الأغذية العالمي، المُكلّف من البنك الدولي «إدارة» القرض، يُريد التعاون بدوره مع وكالات تابعة للأمم المتحدة لمشاركته في تنفيذ المشروع

ليا القزي

حتّى يَصرف البنك الدولي القرض المُخَصّص لتمويل دعم الأسر الأكثر فقراً، فرض عدّة شروط غير مألوفة في عقد الاتفاقيات، ولا سيّما إذا كانت اتّفاقية قرض (أي الدولة المُستفيدة منه ستعيد تسديده مع الفوائد) لا هِبَة. واحد من تلك الشروط كان إجبار الحكومة اللبنانية على إبرام اتفاقية مع برنامج الأغذية العالمي، ليكون عملياً أشبه بـ«مُدير» القرض البالغ 246 مليون دولار. من أصل هذا المبلغ، سيوضع بين يدي برنامج الأغذية العالمي، 227 مليون دولار للتصرّف بها، على أن ينال «عمولة» من القرض تبلغ 1% من قيمته. ويُفترض بـ«البرنامج» أن يكون مسؤولاً عن كلّ شيء، كإبرام العقود مع الموزعين الماليين والمصارف لإصدار بطاقات الدفع الإلكتروني، ثمّ تولّي توزيعها على المستفيدين من برنامج الدعم، بالإضافة إلى حفظ الوثائق المناسبة لجميع المعاملات التي يُجريها في إطار المشروع، وتقديم «خدمات ما بعد البيع» كنوع من «مراقبة حُسن التنفيذ».

مراحل التفاوض بين الحكومة وبرنامج الأغذية العالمي بدأت قبل الموافقة على إبرام اتفاقية قرض البنك الدولي، «ولا سيّما بعدما نال المسؤولون في البنك الدولي تعهّداً من مرجعيات سياسية بأنّ أي موانع دستورية لن تحول دون إقرار الاتفاقية في مجلس النواب». بالإضافة إلى ذلك، «كانت حُجّة الجهات الدولية بأنّ التفاوض المُبكر، سيُسرّع العمل بالقضية فور الموافقة عليه»، كما يُخبر أحد المسؤولين المعنيين بتنفيذ القرض. كُتبت «الشروط المرجعية» المُتضمنة كيفية توزيع الأموال، والمسؤوليات لكلّ طرف من الموقّعين على الاتفاقية، وغيرها من البنود التي يُفترض أن تُناقشها اللجنة التقنية والوزارية المُخصصة لمتابعة الملفّ، ولكن في هذه المرحلة تتولّى الإدارة العامة في وزارة الشؤون الاجتماعية مُتابعة تفاصيل «الشروط المرجعية». ورقة العرض وصلت إلى «الشؤون» التي تعمل على وضع ملاحظاتها عليها، «لأنّ الجهات الدولية ما زالت تُفوّض نفسها مهمات ليست من صلاحياتها وفيها تَعدّيات على دور الإدارة». ولكن أليس برنامج الأغذية العالمية «شريكاً» للوزارة في عددٍ من البرامج، ولا سيّما تلك المتعلقة بالنازحين السوريين؟ يردّ المسؤول بأنّ «الفارق أنّ أموال القرض هذه المرة تصل مُباشرةً إلى الدولة، في حين أنّه في تلك البرنامج تقوم الجهات الدولية بتقديم الأموال مباشرةً إلى الجمعيات والوكالات الدولية، وحتى في الحالة الثانية تكون الإدارة معنية مباشرةً بتوزيع البطاقات وجمع المعلومات».

ملفّ «الشروط المرجعية» يتحدّث عن أنّ الحكومة اللبنانية تبحث عن التعاقد «مع شركة مُختصة أو وكالة تابعة للأمم المتحدة»، وستقوم بتقديم خدمات:

- لـ 147 ألف عائلة المُستهدفة، إضافةً إلى الـ 15 ألف عائلة التي تحصل على بطاقة الغذاء الإلكترونية. سيُرفع عدد هؤلاء إلى 50 ألف عائلة، يتمّ تمويلها من الاتحاد الأوروبي وألمانيا. ويُصبح عدد المستفيدين النهائي 197 ألف عائلة.

- تحويلات مالية لحوالى 87 ألف تلميذ، تراوح أعمارهم بين 13 و18 عاماً، وهم من أبناء العائلات الـ 147 ألفاً. التحويلات لهؤلاء ستشمل التكاليف التعليمية المباشرة: التسجيل، مصاريف لجنة الأهل، الكتب المدرسية، المواصلات، اللباس المدرسي، الأجهزة المدرسية.

برنامج الأغذية العالمي سيصدر، فصلياً، تقريراً مالياً حول توزيع المبالغ والعائلات التي استفادت منها «من دون كَشف معلومات شخصية»، على أن تُقدّم كلّ المعلومات المطلوبة إلى «طرف ثالث» يتولّى المراقبة المالية. أما المهمات التي ستُكلَّف بها «الشركة أو الوكالة التابعة للأمم المتحدة» فهي:

- إعطاء تعليمات مباشرة لمزوّدي الخدمات المالية.
- إدارة منصة دفع الأموال والتعاقد مع الجهات المالية التي ستُصدر البطاقات.
- إصدار البطاقات للمستفيدين الجُدد من المساعدات.
- مراقبة التحويلات.
- تنسيق توزيع البطاقات الإلكترونية بالتعاون مع برنامج الأكثر فقراً في وزارة الشؤون الاجتماعية.
- تحضير لوائح الدفع شهرياً.
- اختيار المؤسسات التجارية التي تقبل الدفع بالبطاقات الإلكترونية الخاصة بالمشروع.
- رفع عدد مراكز التوزيع إلى 32 مركزاً، والعمل على أن تُعطى 40 ألف بطاقة في غضون شهر.
- إدارة كلّ المبالغ المُخصصة بالطلاب، وتُعدّ وزارة التربية مسؤولة عن التأكد من حضور الطلاب إلى المدارس ومستواهم التعليمي.
- دفع أموال مباشرة إلى المدارس.
- دفع أموال مباشرة إلى العائلات في بداية السنة المدرسية.
- مراقبة عمليات ما بعد التوزيع والمسائل المتعلقة بالخدمات الإلكترونية، والقيام بزيارات منزلية للعائلات والمحال التجارية التي جرى التعاقد معها للتدقيق في كيفية صرف المبالغ.
- إرسال تقارير شهرية إلى الحكومة والبنك الدولي.
- جمع الداتا وتحليلها وكتابة تقارير عن النشاطات، بالتعاون مع وزارة الشؤون الاجتماعية.

ما زال البنك الدولي وبرنامج الأغذية العالمي يُصرّان على فرض أنفسهما «مرجعية المواطن»، وإلغاء أي وجود للإدارة المحلية، وحصر دورها بالـ«شكلي» من دون أن يكون لها عملياً أي «سلطة». وبحسب المعلومات، فإنّ المدير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية، عبدالله أحمد لن يقبل بـ«الشروط المرجعية» كما هي، بالإضافة إلى طلبه الحصول على رقم دقيق «للكلفة التشغيلية التي سيحصل عليها برنامج الأغذية العالمي من الـ 227 مليون دولار، وما هي التوظيفات التي سيقوم بها للتأكد من إمكانية أن يقوم بمهماتها مُوظفون حاليون في الإدارة».

> **197 الف عائلة ستستفيد من قرض البنك الدولي وتمويل الاتحاد الاوروبي والمانيا**

(هروات بو حيدر)

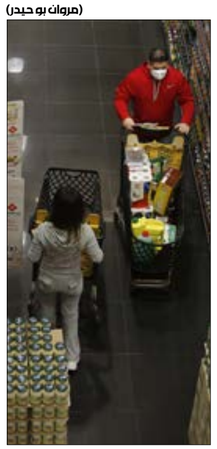

الملاحظات الرئيسية التي تطرحها «الشؤون الاجتماعية» هي أنّ اختيار المصارف والمحال التجارية التي سيتم التعاون معها «يجب أن يتمّ وفق معايير واضحة تُشارك الحكومة اللبنانية في وضعها». كما أنّ توزيع البطاقات الإلكترونية «يجب أن يكون حصراً من مهمة الشؤون الاجتماعية. كيف سيُعاد بناء الثقة مع المواطن إذا تُركت كلّ الأمور الأساسية للمنظمات الدولية؟»، فضلاً عن دور «الشؤون الاجتماعية» والحكومة «في تتبّع الأسر والتأكد من حصولها على المساعدات، وخاصة أنّ البنك الدولي كان يُريد استبدال الزيارات للتأكد من أنّ الأسر تستحق الدعم، بمقابلات عبر الهاتف، ما يطرح علامات استفهام حول الشفافية». أما النقطة الأخيرة فهي «رفض التعاون مع منظمة دولية لتوزيع البطاقات وجمع الداتا، والتشديد على أن تكون جمعيات أهلية محلية تحظى بالثقة».

تحقيق

بات على اللبنانيين التأقلم مع أثاث منازلهم لأطول فترة ممكنة ومحاولة الحفاظ عليه قدر المستطاع، لأن زمن «الديكور» ولّى إلى غير رجعة... أقلّه في المستقبل المنظور. معارض المفروشات تستسلم تباعاً. لا الاستيراد وارد في ظل غلاء الأسعار وتراجع القدرة الشرائية للمستهلكين، ولا الصناعة المحليّة التي كانت في الماضي مفخرة الإنتاج الوطني قادرة على ملء الفراغ بعدما تلقّت ضربات متلاحقة أدّت إلى انهيارها بالكامل

قطاع المفروشات... على «الحصيرة»

الصناعة الوطنيّة... حرفة من الماضي

رضا صوايا

منذ أطلّت الأزمة الاقتصاديّة برأسها كثر الحديث عن أهمية دعم الصناعة المحليّة وتنشيط الإنتاج والتصدير للحدّ من عجز الميزان التجاري. نظرياً، تبدو هذه الأهداف قابلة للتطبيق رغم الصعوبات التي تعترضها، إلا أن الوقائع على الأرض تكشف أن السياسات الاقتصاديّة المتّبعة، والقائمة على تشجيع الاستيراد، قضت على كثير من القطاعات الإنتاجية، ومنها قطاع المفروشات، حتى بات الحديث عن إعادة إحيائها من جديد ضرباً من الخيال.

عرفت صناعة المفروشات في لبنان عزّ منقطع النظير، وشكّلت في واحدة من المراحل إحدى دعائم الصناعة الوطنيّة وأكثرها توفيراً لليد العاملة المحليّة. عصب هذه الصناعة كان متركّزاً في محافظة الشمال عموماً، وتحديداً طرابلس التي كانت تُسمى «عاصمة المفروشات في لبنان والعالم العربي».

تميّزت عاصمة الشمال بحرفة صناعة المفروشات منذ منتصف القرن التاسع عشر، قبل تأسيس دولة لبنان الكبير بحوالى 70 عاماً، ولمع اسم حرفييها وجودة إنتاجهم حتى أصبحوا مقصداً لكل من يبحث عن أثاث متين ومتقن الصنع من لبنان والمنطقة وحتى الدول الأوروبية.

كان الطرابلسيون يستذكرون من هذه الحرفة بعشرات الآلاف، ولم يكونوا في وقتها بحاجة إلى الخروج إلى الشوارع وحرق الإطارات طلباً للقوت والعمل، فأغلبهم كانوا منهمكين في محترفاتهم ويسعون خلف لقمة العيش بكرامة، إلى أن اختارت الدولة، بسوء تخطيطها، رميهم في البطالة والتخلي عنهم. يلفت رئيس نقابة أصحاب الصناعات الخشبية والحرفية والمفروشات عبدالله حرب إلى أن «قطاع المفروشات كان يشكل حوالى 60% من مجمل اقتصاد الشمال وطرابلس، وكان عدد المستفيدين من هذا القطاع والمعتاشين منه يقارب الـ 300 ألف نسمة». ضخامة العدد تعود إلى أن القطاع كان يسهم في تنشيط أعمال كثير من المهن المرتبطة به كالدهان والنجارة والتنجيد وحفر الخشب ورسمه وتجارة الأقمشة وغيرها.

مع مطلع التسعينيات، ورغم ويلات الحرب وأثرها المدمّر على طرابلس والشمال، بقي قطاع المفروشات متماسكاً. وكان عدد المؤسسات الحرفية العاملة في المجال يومها «أكثر من 5 آلاف مؤسسة لم يبقَ منها اليوم هذا إلا نسبة ضئيلة لا تتخطّى الـ 3 أو الـ 4%»، وفقاً لحرب. كانت للإنتاج الوطني مكانته، وكان المستهلكون مدركين لجودة الصناعة المحليّة قبل أن يبدأ إغراق السوق بالمنتجات المستوردة. ويشير رئيس تجمع صناعيي المفروشات جوزف الريف الى أن «الصناعة المحليّة كانت تكفي السوق الداخليّة قبل الحرب، وكان الطلب عليها يفوق الطلب على البضاعة الأجنبية». ويوضح أن «80% من إنتاجنا كان يُصرف في لبنان فيما كان الباقي يُصدّر إلى الخارج وتحديداً إلى الخليج وأوروبا وحتى أستراليا».

هل يمكن أن يستعيد لبنان مكانته في هذا المجال وأن تكون الأزمة الاقتصاديّة فرصة لنهوض صناعة المفروشات الوطنيّة من جديد؟

(أرشيف)

> **من أصل 5 آلاف مؤسسة حرفيّة تعمل في صناعة المفروشات لم يبقَ إلا حوالى 3%**

«الحديث عن بعث صناعة المفروشات والتصدير إلى الخارج... كلها شعارات فارغة وتمنيات بعيدة عن الواقع»، بحسب الريف، إذ أن القطاع «تعرّض لضربات متتالية منذ منتصف التسعينيات وهُشّم بالكامل منذ حوالى 10 سنوات». فإضافة إلى «الاستيراد الإغراقي وانعدام قدرتنا على منافسة الطاقة الإنتاجية الهائلة التي تتمتع بها الدول التي تصدر مفروشاتها إلى لبنان، ساهم التهريب عبر المرفأ وإدخال البضائع المستوردة وتسجيلها تحت بنود جمركية أخرى، في القضاء على ما تبقّى من مؤسسات». والخلاصة «انقراض اليد العاملة في المجال بشكل شبه كامل. فكيف لنا أن نصدّر إن لم يعد هناك عمّال في الأساس. صناعة المفروشات اللبنانية حرفة عالية الجودة وتتطلب يداً عاملة ماهرة ومحترفة، فيما اليد العاملة الأجنبية خصوصاً من الدول المجاورة تفتقر إلى الخبرة اللازمة».

«لا أمل» بالنسبة إلى الريف، إذ أن المواد الأولية والأدوات الضرورية للتصنيع بدأت تُفقد من السوق لأنها جميعها تُستورد، و«لم يعد يوجد خشب، والغري مفقود، وحتى البراغي والمسامير غير متوفرة... كل شيء مفقود».

رغم تشديده على أن «الحمايات الموجودة غير كافية فيما يجري إغراق السوق بالمفروشات المستوردة»، يحافظ رئيس جمعية الصناعيين فادي الجميّل على تفاؤله بأن «الصناعة المحليّة تمتلك فرصة، لكن مقوّمات نجاحها ليست البضاعة الرخيصة بل الحرفية العالية والابتكار اللذان يسمحان بإبراز جودة الإنتاج. بالتالي أساس المعركة ليس في تخفيض الأسعار بل في التميّز والمهارة في التصنيع».

«منجرة»... بارقة أمل؟

«منجرة» منصة انطلقت عام 2018 بتمويل من الاتحاد الأوروبي وتنفيذ الوكالة الفرنسية للخبرة الفنية الدولية «إكسبرتيز فرانس»، بهدف «تقديم الدعم التقني للعاملين في قطاع المفروشات في طرابلس وتوفير مكان للتواصل والتعاون بين كلّ العاملين في القطاع» بحسب المهندسة نور صوايا، العاملة في مجال الطلبات الخارجية في المؤسسة.

تشير صوايا إلى أن المشروع الذي يمتد على مساحة 1500 متر مربع في معرض رشيد كرامي الدولي «يوفر آلات ومعدات حديثة موضوعة مجاناً في خدمة كلّ العاملين في المجال من نجارين ودهانين، يمكنهم استعمالها لتنفيذ أعمالهم الخاصة وبدون أي مقابل». وتوضح أن «عدد المستفيدين من المنصة كبير جداً، لكنّ الأزمة الاقتصاديّة كان لها أثر كبير على أعمالنا كون المواد الأوليّة مستوردة بأكملها. وانعكاس الأزمة على القدرة الشرائية للمواطنين ظهر جلياً من خلال طلباتهم التي انخفضت وباتت تنحصر في الأساسيات».

معارض المفروشات... الانهيار وشيكٌ

> **نسبة تراجع المبيعات في المعارض والغاليريهات تقدّر بـ 80%**

(أرشيف)

فرش منزل بكامله وفق سعر صرف السوق الحالي يساوي، تقريباً، سعر منزل وفق سعر الصرف الرسمي. يبيّن ذلك حجم الأزمة التي تعاني منها معارض المفروشات التي تجهد منذ عام 2019 لتصريف بضاعتها.

يصعب تحديد عدد المعارض التي أقفلت جراء الأزمة نظراً إلى غياب نقابة ترعى أعمالها. إلا أن العاملين في القطاع يُجمعون على أن الكثير من المعارض أغلقت أبوابها نهائياً، أما من لا يزال صامداً منها فقد يستمر لعام إضافي على أبعد حد في حال لم تتحسّن الأوضاع. ويقدّر هؤلاء تراجع المبيعات بنسبة 80%، مع التفاوت بين مؤسسة وأخرى بحسب الإمكانات وعدد الفروع ونوعية الزبائن وقدراتهم الماديّة.

سعر الصرف المتفلّت منذ أواخر 2019 أثّر على أعمال المعارض وخلق مشاكل عديدة لها مع زبائنها، خصوصاً أولئك الذين كانوا قد حجزوا مسبقاً مفروشات ودفعوا «ربعونا» لها. بعض المعارض رفضت أن تبيع على سعر الصرف الثابت وحاولت مفاوضة الزبائن على سعر آخر، أو عرضت أن تعيد إليهم ما دفعوه، ما خلق مشاكل إضافية، لناحية تحديد العملة التي يُفترض أن يعاد بها الـ«ربعون»، وغيرها الكثير من السيناريوهات تبعاً لكل حالة. وفاقم الأزمة انعدام خيار التقسيط والتشديد على الدفع نقداً، ما شطب فوراً الأغلبية العظمى من اللبنانيين الذين لم تعد رواتبهم تكفيهم لسد احتياجاتهم الأساسية.

يشرح مدير المبيعات في أحد أكبر معارض المفروشات في لبنان أن هذا الواقع «حصر زبائننا في الفترة الأخيرة بالميسورين ممن يملكون الدولارات أو المودعين الذين يرغبون بتهريب أموالهم من المصارف، أما فئة الموظفين العاديين والأجراء فقد خسرناها نهائياً». ويوضح أن الشركة قرّرت «اعتماد عدة حلول لمحاولة بيع ما أمكن من البضاعة وأبرزها حسومات لمن يدفعون نقداً بالدولار، أو اعتماد سعر صرف أرخص من سعر الصرف في السوق الموازية بحوالى الفي ليرة لمن يسددون قيمة المشتريات نقداً باللليرة. أما من يرغبون بالدفع وفق بطاقات مصرفية او شيكات فنأخذ نسبة من الأرباح تقارب 150%، أي أن القطعة التي يبلغ سعرها 1000 دولار نسعّرها بـ 2500 دولار».

يؤكد شادي الحاج، صاحب مؤسسة «الياس الحاج للمفروشات»، على أن «التراجع في المبيعات تخطّى الـ 70%، والدفع بأغلبه يكون نقداً إلا في حالات محدودة جداً نقبل فيها الدفع بالبطاقات او الشيكات. أما الطلبيات فتميل نحو البضاعة البسيطة وغير المكلفة. لم يعد أحد يشتري بضاعة فاخرة». ويشكو من قرارات الإغلاق غير المدروسة بسبب كورونا «التي ساهمت في تعميق أزمة معارض المفروشات. إذ أن عدد الزبائن الذين يقصدوننا في الأيام العادية محدود فكيف في أزمة اقتصاديّة مثل التي نعيشها».

رضا...

كورونا

الدفعة الثانية من اللقاحات تصل اليوم... ولا هدنة في عداد الوفيات

تصل، اليوم، إلى مطار بيروت الدفعة الثانية من جرعات لقاح «فايزر»، والتي تقدّر كميتها بحوالى 40 ألف لقاح. من المفترض أن تكون هذه الدفعة مخصصة أيضاً للأطباء والعاملين في قطاع الطب والمسنين، لكون كمية اللقاحات التي وصلت سابقاً كانت قليلة مقارنة بأعداد المسنين الكبيرة، على ما يقول الدكتور عبد الرحمن البزري، رئيس اللجنة الوطنية للقاح كورونا. إلى الآن، لا يزال المصدر الوحيد للقاحات هو شركة «فايزر»، فيما يتوقع أن يصل الشهر المقبل لقاح «إسترازينيكا»، على أن يحسم وزير الصحة العامة، حمد حسن، موعد قدوم لقاح «سبوتنيك» الروسي، إذ تتحدث مصادر الوزارة عن زيارة مرتقبة للأخير إلى روسيا.

إلى ذلك، لا تبدو وتيرة اللقاحات مترافقة مع وتيرة فيروس كورونا الذي تكمل أرقامه مسارها التصاعدي، ولا سيما في ما يتعلّق بإيجابية الفحوص التي لا تزال عند عتبة الخطر، وإن تراجعت نسبتها قليلاً. وفي تقرير وزارة الصحة العامة أمس، سجلت هذه الفحوص نسبة 18,7%، وهو رقم يشي بأن الأمور ليست تحت السيطرة حتى اليوم. أما بالنسبة إلى المؤشرات المتبقية، فإن كان عداد الإصابات يُظهر تراجعاً مع تسجيل 2255 إصابة خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية، إلّا أن عداد الوفيات لا يزال في مرحلة الذورة مع تسجيل وفاة 51 شخصاً، ليرتفع العدد الإجمالي إلى 4257 حالة وفاة. وكذلك الحال بالنسبة لعدد حالات الاستشفاء التي سجلت تراجعاً طفيفاً في الفترة الماضية، حين كان عدد المرضى الذين يتلقون العلاجات في المستشفى 2193 حالة، من بينها 922 حالة في غرف العناية المركزية (292 منها موصولة إلى أجهزة التنفس).

البلاد ليست بخير، مع ذلك تتحضر للمرحلة الثانية من عودة جملة من القطاعات إلى دورتها الطبيعية. وفي هذا الإطار، عقدت اللجنة الوزارية لمتابعة وباء كورونا اجتماعاً أمس في إطار التهيئة لعودة دفعة جديدة من القطاعات. وأقرت اللجنة الآلية المتعلقة بكيفية تحصين الموظفين من الإصابة بالوباء، تمهيداً للسماح بعودة آمنة. من جهة أخرى، أعلن وزير الاقتصاد، راوول نعمه، موعد فتح القطاع التجاري في الأول من الشهر المقبل، لافتاً إلى أنه خلال أسبوع «سنعمل على تحديد القطاعات التجارية التي ستتم إعادة فتحها». ولذلك دعا «المحال التجارية التي ستفتح أن تقوم بالإجراءات اللازمة لناحية التسجيل على المنصة».

(الأخبار)

من المنتظر ان يزور وزير الصحة موسكو للتباحث بشأن استيراد اللقاح الروسي (هيثم الموسوي)

فرصة عمل للطلاب

إذا كنت طالباً/طالبة جامعيّاً من أصدقاء «الأخبار»، وتبحث عن فرصة لدخل اضافي او جديد، يهمنا ابلاغك بان إدارة التسويق في «الأخبار» تبحث عن مندوبين/مندوبات لبيع الاشتراكات .

لمن يهمّه الأمر التواصل عبر البريد الالكتروني

hr@al-akhbar.com

أو الاتصال على الهاتف 01/759500

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [7]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديثُ هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتيّة، التي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المُقاوِمة: مذكّرات». ولعلّ سامي الجميّل يطلع بسيرة ذاتيّة له بعد انتهاء هذه الحلقات، وليتحدّث فيها عن نضالاته ضدّ سلاح «هزبولا». عندها، قد أنتهي من سيرة الأب لأردّ على سيرة الابن - إنّه حزب المؤسّسات. يشيد أمين الجميّل بشجاعته الشخصيّة عندما رفض نصائح بالانتقال من قصر بعبدا إلى مكان آمن بعد اشتداد القصف في معارك سوق الغرب، لا بل ارتدى خوذة القتال وملابس الميدان وانضمّ إلى مقاتلي الجيش الانعزالي الفذوي الطائفي في «جبهة» سوق الغرب (لا يجد رئيس لبنان السابق غضاضة في التحدّث بافتخار عن جبهة عسكريّة فتحها ضدّ مواطنين لبنانيّين آخرين لأنّهم رفضوا جبروت حكمه المفروض من التحالف الأميركي - الإسرائيلي - السعودي. الدور السعودي كان خفياً، لكنّنا بتنا نعلم الكثير عنه، وأفصح الجميّل عنه في كتابه). ويذكرُ بعضنا من تلك الحقبة صورة الجميّل في خوذة القتال وملابس الميدان، وكان ذلك يذكّر بمشاهد من فيلم إسماعيل ياسين، «إسماعيل ياسين في الجيش»، أو اسكتشات الظريف، «بني هيل». وعندما يتحدّث الجميّل عن حكمه الجائر وعن أفعاله، يُسبغ عليها دائما صفة «المقاومة»، فيقول عن دكّ مناطق آهلة بالسكان في الضاحية والجبل: «بدأت مقاومتي تؤتي ثمارها. عاودت الديبلوماسيّة تحرّكها» (ص. 155)، أي إنّ الجميّل يعترف بأنّ دكّ المناطق السكنيّة للبنانيّين (أي هم لا يقعون في خانة «الإغراب» بحسب اللغة العنصريّة لحزب «الكتائب») كان أحياناً بهدف جذب الاهتمام الدبلوماسي إليه، بعدما ضاقت دول الغرب، وحتى الراعي في واشنطن، ذرعاً به وبحكمه.

ويشير الجميّل إلى تفجير مقرّ المارينز، ويقول عن مهمّة قوات الاحتلال المتعدّدة الجنسيّة التالي: «طلوا هذا الاعتداء الشنيع جنوداً جاؤوا إلى بلدنا لإحلال السلام بناءً على طلبنا وطلب العرب أنفسهم، في وقت كان الفلسطينيّون مهدّدين بالأسوأ من جرّاء الاجتياح الإسرائيلي لبيروت» (ص. 155). عدد الأكاذيب في الجملة الواحدة يسجّل سبقاً. 1) كلمة شنيع لم يستعملها الجميّل لوصف كلّ إرهاب إسرائيلي في لبنان، لكن ذلك ليس بمستغرب خصوصاً عندما يكون إرهاب إسرائيل هو الذي أوصله، كما أوصل شقيقه من قبله، إلى سدّة الحكم (الفاقد للشرعيّة). 2) أي إحلال للسلام هو هذا؟ متى قامت القوّات الأميركيّة في بلادنا بإحلال السلام؟ السلام في لبنان؟ ألم تسهم قوات المارينز مع قوات المظليّين الفرنسيّة في تزخيم وتسعير وتيرة الحرب الضروس بين اللبنانيّين؟ وما يسمّيه الجميّل «السلام» لم يكن إلّا فرض نظام حكمه بالقوّة على صدور الشعب اللبناني، بالرغم من اعتبار أكثر من نصف الشعب لحكمه بأنه باطل (كان للجميّل تأييد من فئة كبيرة من الشعب في مطلع عهده، لكنّ هذا التأييد سرعان ما تبخّر بسبب الجرائم والتجاوزات التي ارتكبها عناصر من جيشه الفذوي ومن القوّات اللبنانيّة). ثم إذا كانت مهمّة المارينز هي إحلال السلام، فلماذا لم يتحقّق السلام واستعرت الحرب بوجوده؟ 3) يقول إنّ المارينز أتوا بناءً «على طلب العرب أنفسهم». أي عرب؟ الملك فهد، تقصد. 4) يربط الجميّل وجود المارينز بالتهديد الذي تعرّض له الفلسطينيّون في لبنان. أيّ نفاق هو هذا؟ وهل يحترث حزب «الكتائب» لما يجري للشعب الفلسطيني؟ وهل كان موضوع حماية الشعب الفلسطيني في لبنان في حينه مطروحاً إلّا من زاوية خطر الإرهاب الإسرائيلي والكتائبي ضدّ المخيّمات؟ ومَن الذي ارتكب في حينه المجازر ضدّ المخيّمات إلا أنتم؟ (طبعاً، ارتكبت حركة «أمل» في ما بعد، ومع حلفاء للنظام السوري - وبرعاية النظام - مجازر ضدّ المخيّمات في «حرب المخيّمات» في الثمانينيّات والتي طمسها النسيان). أنتم، يا أمين، كنتم الخطر الداهم ضدّ المخيّمات مع راعيكم في تل أبيب. وهل يمكن أن يثق الشعب الفلسطيني بالقوّات الأميركيّة لحمايته؟ وهل ارتكبت مجزرة صبرا وشاتيلا إلّا بسبب ضمانة أعطاها المبعوث الأميركي، فيليب حبيب، وبالنيابة عن الرئيس الأميركي، لياسر عرفات (طبعاً، أعطاها بصورة غير مباشرة، لأنّ الاتصال المباشر كان ممنوعاً في حينه)؟ طبعاً، يتحمّل عرفات المسؤوليّة التاريخيّة عن الوثوق بضمانة أميركيّة لحماية الشعب الفلسطيني في لبنان.

لكنّ الجميّل لا يبحث في مشروعيّة وجود المارينز في لبنان. لم تأتِ القوّات الأميركيّة بطلب من حكومة لبنان الرسميّة. وليس هناك من أيّ مسار شرعي بعد الاجتياح الإسرائيلي، وهذا ما أكّده حبيب الشرتوني في أوّل ظهور إعلامي له بعد اعتقاله. كانت هناك في لبنان حربٌ أهليّة وحشيّة، فقامت قوّات الاحتلال بغزو لبنان من أجل ترجيح كفّة حليفهم القوات ضد خصومهم، وهذا ما حصل. والقول إنّ إلياس سركيس هو الذي طلب تدخّل القوات المتعدّدة الجنسيّة لا يسبغ مشروعيّة على القرار، خصوصاً أنّنا بتنا نعلم اليوم أنّ سركيس في آخر سنتيّن من حكمه لم يكن إلّا ذراعاً للمؤامرة الإسرائيليّة في لبنان. والتدخّل الأميركي كان يغرض دعم طرف ضدّ آخر في الحرب الأهليّة. وهذا ما توافق عليه في ما بعد أعضاء الكونغرس الأميركي عندما ضغطوا على رونالد ريغان لسحب القوّات الأميركيّة من لبنان. أذكر نقاشات الكونغرس في حينه، وكان الجمهوريّون والديموقراطيّون على حدّ سواء يحاججون أنّ لا سبب لوجود قوّات أميركيّة في لبنان، لأنّ وجودها هو لدعم طرف ضد آخر في حرب أهليّة. وكان الجميّل يحاجج أنّ الوجود (بالأحرى الاحتلال) الأميركي في لبنان كان من أجل «دعم العالم الحرّ»، أو «محاربة الإرهاب الفلسطيني»، إلخ.

لكنّ الحديث عن تفجير مقرّ المارينز يكشف عن جانب إنساني رقيق في شخصيّة أمين الجميّل. وهذا الجانب لم يكن معلوماً من اللبنانيّين من قبل. هاكم وهاكنّ أمين يقول: «لن تغيب عن بالي صورة ذلك الجندي الأميركي العالق داخل حطام من الباطون المنهار» (ص. 155). آواه، كم أنّ مشاعر أمين تكون رقيقة في ما يتعلّق بحياة الجنود الأميركيّين. لكن يا أمين: هل غابت عن بالك صور قتل النساء والأطفال في المجازر التي شاركت فيها في تل الزعتر أو في غيرها؟ هل غاب عن بالك، يا أمين، صور قتل النساء والأطفال في صبرا وشاتيلا؟ بين كلّ مشاهد القتل والتعذيب التي قامت بها عصابات حزبك في لبنان، لم يبقَ منها صورة واحدة؟ أم أنّ كتابك موجّه للجمهور الغربي (كأنّ الجمهور الغربي يعرف من تكون)، ولذلك تريد أن تؤكّد لهم أنّك تعتنق بحقّ عقيدتهم في أنّ حياة الرجل الأبيض أعزّ عندك من حياة بني أهلك؟

وعن مؤتمر جنيف بشأن لبنان في تشرين الأوّل/ أكتوبر 1983، يستغرب الجميّل كيف أنّ هناك رفضاً لشرعيّة ترؤسه للجلسات بحكم أنّه طرف من أطراف الحرب الأهليّة. ويستشهد بموقف سليمان فرنجيّة لصالحه، مع أنّ مواقف فرنجيّة في المؤتمر اتّسمت بالكثير من العناد الطائفي والسياسي ورفض التغيير في بنية النظام الذي قاد إلى الحرب الأهليّة. ويصف أمين، هكذا عرضاً، نبيه بري ووليد جنبلاط بأنّهما كانا معيّنَيْن من سوريا (ص. 156). وهو يشرح ذلك للجمهور الغربي. صحيح أنّ النظام السوري كان يرعى الزعيمَيْن المذكورَيْن، لكن كيف يمكن نفي تمثيليّة بري وجنبلاط في حينه (أو حتى الآن، وهذه الديمومة في التمثيل السياسي ماساة في حدّ ذاتها). لكن، أليس من الدقّة القول إنّك كنتَ أنتَ مرعيّاً من الحكومة الأميركيّة آنذاك، وإلى حدّ بما (في مرحلة ما قبل إلغاء اتفاقيّة 17 أيّار) من حكومة العدو أيضاً؟

ويطير الجميّل إلى واشنطن، في أواخر عام 1983، ليلتقي بالمسؤولين الأميركيّين بناءً على طلبه، كما يقول (ص. 158). ويُصدم الجميّل في تلك الزيارة التي أذكرها، لأنّه يكتشف أنّ الحكومة الأميركيّة ليست في وارد الاسترغاق في الحرب الأهليّة من أجل تدعيم حكمه وفرض اتفاقيّة 17 أيّار. لم يكن الموقف الأميركي من منطلق إنساني حنون، بل من منطلق تقدير خسائر الجنود الأميركيّين مقابل فوائد دعم حكم رجل لم يعد يحظى بدعم ميليشيات بيروت الشرقيّة نفسها. وبوقاحة، يستشهد الجميّل من مدوّنته الشخصيّة بموقف لجيمس أبو رزق الذي كان معارضاً بشدّة لدعم الجميّل ولكلّ حلفاء إسرائيل في لبنان. جيمس أبو رزق خدمَ لبنان، خصوصاً بعد تركه ولاية واحدة في مجلس الشيوخ، أكثر من كلّ السفراء اللبنانيّين الذين تعاقبوا في واشنطن. كان أبو رزق صلباً في مواجهة اللوبي الإسرائيلي، ودحض على مدى عقود طويلة الدعاية الصهيونيّة عن لبنان وفلسطين. الهذا أزعجتك تصريحات جيمس أبو رزق؟ ألم تكن مواقف أبو رزق صلبة ضدّ إسرائيل عندما كان في مجلس الشيوخ، لكن مواقفه باتت جذريّة بعدما أسّس «اللجنة العربيّة - الأميركيّة لمكافحة التمييز»، وكانت أقوى المنظّمات العربيّة وأكثرها فعاليّة، لكنّها تعرّضت للتشتّت والتدمير من قبل لوبيات طغاة الخليج، الذين عمدوا بعد اجتياح صدّام إلى ابتياع أو تدمير كلّ المنظّمات العربيّة في واشنطن، ولم يبقَ منها من ينطق باسم الجمهور العربي. كانت اللبنانيّة الوطنيّة، هالة سلّام مقصود، آخر زعيمة لمنظّمة عربيّة فاعلة في واشنطن. المنظّمات العربيّة الباقية ليست أكثر من لوبيات لدعم تسليح طغاة الخليج ولدعم تطبيعه مع دولة العدو. ولهذا اتجه الإنفاق الخليجي نحو مراكز الأبحاث غير العربيّة).

> يذرف الجميّل الدمع مدراراً على اتفاقيّة 17 أيّار ويقول في لهجة حزينة: «في الواقع، ما عاد اتفاق 17 أيّار في ذاته يهمّ أحداً، بل بات عنصراً مهماً للمساومات الإقليميّة» (ص. 158).

يذرف الجميّل الدمع مدراراً على اتفاقيّة 17 أيّار، ويقول في لهجة حزينة تكاد تفطر القلب: «في الواقع، ما عاد اتفاق 17 أيّار في ذاته يهمّ أحداً، بل بات عنصراً مهماً للمساومات الإقليميّة» (ص. 158). تخلّوا عن اتفاقك، يا أمين. لم يعد هناك من يكترث للإنجاز الوحيد في عهدك - هو إنجاز بمقياسك وكم أنفقتَ، وأنفق راعيك الخارجي، على التطبيل له وعلى فرض طاعته على الشعب اللبناني. لعلّ فترة اتفاقيّة 17 أيّار كانت أكثر فترات الحكم البوليسي في التاريخ اللبناني الحديث - باستثناء حقبة فؤاد شهاب بعد الانقلاب القومي. وبعد عودة الجميّل من آخر لقاء مع ريغان، كتب في سجلّ تدوينه الشخصي ما يلي: «أتاحت لي مداولاتي التأكّد أكثر فأكثر من أنّ الإدارة الأميركيّة لم تعد تثق بأحد في المنطقة باستثناء الدولة العبريّة» (ص. 159). هذه تحتاج إلى مداولات، يا أمين؟ أما كان ممكناً لك معرفة ذلك قبل ذلك اليوم؟ ثمّ، جامعة هارفرد هي «مربط خيلك» (كما تصفها في الكتاب) وكان يمكن لك الاستماع إلى محاضرات فيها، غير محاضرة الإسرائيلي موشي ماعوز (تسمّيه موعاز، لسبب ما)، عن مواضيع السياسة الأميركيّة نحو الشرق الأوسط. وماذا كنتَ تتوقّع؟ أن تولّيك واشنطن على حكومة العدوّ؟ هذا وهم يصيب كلّ أدوات أميركا في العالم العربي، من طغاة الخليج إلى صفّ 14 آذار الرجراج. وتحالف طغاة الخليج المُعلن مع دولة العدو لم يكن إلا نتاج «إدراك» متأخّر منهم أنّه مهما أطاعوا وأذلّوا فإنّ دولة العدو تبقى هي المحظيّة الأولى.

ويفضح الكتاب ما كنّا نعرفه عن تأييد محمد مهدي شمس الدين لحكم الجميّل، ويعرض في الكتاب لصورة فوتوغرافيّة (ص. 170) عن رسالة خطيّة كان شمس الدين قد أرسلها له في تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1982، ولا يذكر فيها احتلال إسرائيل للبنان (يذكر شمس الدين فيها «تحرير الأرض» فقط). بدلاً من ذلك، يطلب شمس الدين من الجميّل حضصاً أفضل للشيعة في الإدارة العامّة. وشمس الدين (بحسب رواية نبيه برّي في كتاب نبيل هيثم، «أسكن هذا الكتاب»، وقد أكّدها لي الأول عندما سألته عنه) رفض منح فتوى للانتفاضة على حكم أمين الجميّل، حتى في 6 شباط/ فبراير 1984.

ومن أخطر ما في الكتاب، صورة عن نص محضر (بالإنكليزيّة) عن اجتماع بين الجميّل وريغان في تموّز/ يوليو 1983، وفي النص الأميركي تجد فارقاً بين الحقيقة وبين السرديّة في كتاب الجميّل. وبكلّ صفاقة، يشكر الجميّل ريغان بالنيابة عن الشعب اللبناني - كأنّ الشعب اللبناني انتخب الجميّل رئيساً، أو كأنّ الشعب اللبناني اختار أن تغزو إسرائيل لبنان كي تنصّب الشقيقَيْن الجميّل. ويدلّل الجميّل، في حديثه، على وفاء لبنان لأميركا في حال اعتمدته كحليف. يقول الجميّل لريغان عن لبنان، في كلام قد يكون قد أطلق دمع الحاضرين في المآقي: «إنه حليف صغير لكن حسن النيّة». ويعرض الجميّل خدماته للرئيس الأميركي (بصفته زعيماً عربيّاً جماهيريّاً؟) في «الانضمام لجهودك لخدمة القيم والمبادئ التي تمثّلون». والأسوأ في ما ورد في هذا اللقاء في مرحلة 17 أيّار المفتيّة، أنّ الجميل يقول لريغان: «إنّ الوضع (في لبنان) اليوم سيّئ، وهو ليس مختلفاً عن الوضع الذي وجدت إسرائيل نفسها فيه في حرب 1973»، أي إنّ الجميّل يقول لرئيس الجمهوريّة الأميركي إنّ لبنان هو ضحيّة كما أنّ إسرائيل هي ضحيّة العرب. لهذه الدرجة اعتنق الجميّل - «المقاوم»، إياكم نسيان عنوان الكتاب - الخطاب الإسرائيلي بحذافيره. كاد يضيف أنّ إسرائيل في عدوانها على لبنان هي ضحيّة أيضاً. وبسذاجة مفرطة، يطالب الجميّل ريغان في الاجتماع عينه بإنشاء جسر للمساعدات العسكريّة والاقتصاديّة والسياسيّة، على غرار الجسر الجوي الذي أقامته حكومة نيكسون في عام 1983 لإنقاذ إسرائيل من الهزيمة (لكن السادات عاد وأنقذ إسرائيل من الهزيمة بسبب أدائه العسكري وتعطيله إمكانيّة النصر على العدوّ). غريب أنّ الجميّل لا يفقه أبسط مبادئ السياسة الأميركيّة الخارجيّة، بالرغم من أن جامعة هارفرد أصبحت «مربط خيله»، على حدّ قوله.

ويشرح الجميّل لريغان رؤيته للعلاقات الدوليّة (وكان ذلك قبل نشوء الصداقة بين الجميّل وجامعة هارفرد) فيقول له: «لا يمكن لنا (نون الجماعة، في كلام الجميّل هنا، تشير إلى العالم الحرّ الذي ضمّ، في ما ضمّ، آنذاك، الجميّل وبينوشيه وجنرالات تركيا وطغاة الخليج وحكام الأقليّة البيضاء في جنوب أفريقيا وموبوتو) أن نسمح لسوريا بأن تصبح قوة عظمى وأن تصدّ المبادرة الأميركيّة». ولم يذكر الجميّل في نصّ محضر الحديث معلوماته عن حيازة سوريا للأسلحة النوويّة آنذاك، ممّا أهّلها لأن تصبح قوة عظمى. وعن الدول العربيّة، يقول الجميّل بثقة استمدّها في حينه من جيش المتحالف الإسرائيلي (ومن مهرجان الزهور في بكفيا): «أما بالنسبة للدول العربية، فنحن نتعامل معهم. كلّهم يريدون العمل معنا لكنّنا لا نستطيع أن ندعهم يعملون بمعزل عنّا... إنّ الأسد يبتزّ الأنظمة العربيّة». ويبدو أنّ ريغان أصيب بالذهول من كلام الجميّل، خصوصاً في تحذيره عن بروز سوريا كدولة عظمى تنافس الدولة الأميركيّة والاتحاد السوفياتي. وساله ريغان عن كيفيّة ابتزاز سوريا للأنظمة العربيّة، فقال ريغان: «ما هو الابتزاز السوري؟» فيجيبه أمين: «إنهم متكبّرون وتهديداتهم مباشرة. لقد هدّدوا مثلاً كامل الأسعد، رئيس مجلس النوّاب. لقد مرّر السيّد (عبد الحليم) خدّام التهديد عبر (إيلي) سالم». أي إنّ ريغان حاول أن يستفسر من الجميّل عن طبيعة ابتزاز النظام السوري للأنظمة العربيّة، فيقوم الجميّل بالحديث عن تهديد كامل الأسعد. هذا هو نسق حوارات أمين الجميّل في اجتماعات القمّة. ثم يشكو الجميّل لريغان حاله (كما شكى ببار الجميل وكميل شمعون وضع ميليشياتهما وهما ينتحبان أمام زعماء العدوّ الإسرائيلي، كما وصف ذلك شارون في مذكّراته)، فيساوي بين نفسه وبين الشعب اللبناني، إذ يقول: «إن الشعب اللبناني يُعاقَب ومشلول، لأنّنا أصدقاؤكم. ويعده الجميّل ببناء دولة في حال توافر الدعم الأميركي، ويقول لريغان في وصف تلك الدولة: «حليف قوي للترويج لقيمكم» (ص. 191). ويضيف الجميّل: «الشعب اللبناني يثق بالرئيس ريغان (كان هذا الحديث بعد مجزرة صبرا وشاتيلا، والتي تلت وعداً من ريغان للشعب الفلسطيني بأنه يتكفّل بحماية المدنيين الفلسطينيّين بعد خروج منظّمة التحرير من لبنان)، وهم يعلّقون كبرى الآمال على هذه الزيارة، وهم يتوقّعون قيامة لبنان». لا ندري إذا كان الجميّل بعد الإشارة إلى قيامة لبنان قد غنّى «راجع، راجع، يتعفّر، راجع لبنان» في نهاية حديثه، أو أنّه أنشدَ عن طائر الفينيق الشهير، من أجل التأثير الشديد على السامعين في المكتب البيضاوي. ويختم ريغان الحديث بالتذكير بضرورة خروج منظّمة التحرير من لبنان. إلى هذه الدرجة كان ريغان جاهلاً بالمواضيع التي يبحثها مع الذين كان يلتقي بهم. وقد فضح طريقته رئيس الوزراء الأسترالي السابق، بوب هوك، إذ روى في مذكّراته كيف أنّ ريغان لم يكن يستطيع أن يخرج عن النص الذي كانوا يكتبون عليه جملاً لتلاوتها على بطاقات قبل أن يدع الوزراء يتباحثون مع المسؤول الكبير في حضرته، وهو جالس. لم يكن ريغان يستطيع أن يركّز في موضوعات البحث، خصوصاً في السياسة الخارجيّة، فيما صاحبكم الجميّل يحدّثه عن تفاصيل السياسة اللبنانيّة وعن الأسعد والوزان وحزب النجادة، فيما ريغان كان تحت انطباع انه يتحدّث مع ضيفه عن خروج منظمة التحرير عن بيروت، بعد سنة من خروجها عن المدينة. (يتبع)

* كاتب عربي
(حسابه على تويتر @asadabukhalil)

(مروان بو حيدر)

الغرب ينام على أذنيه

محمد علي فقيه *

كان بات بوكانان (Pat Buchanan) مساعداً ومستشاراً خاصّاً لرؤساء الولايات المتحدة، ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد ورونالد ريغان، وكان محقّاً في قوله: «عندما يتعلّق الأمر بحركات التمرّد، يعتمد التاريخ على من يكتب الرواية. وعادة ما يكون هذا فعل الأوليغارشية؛ التي غالباً ما تنتصر في النهاية. مع ذلك، يمرّ في بالي عدد لا بأس به من الإرهابيين الذين أصبحوا في ما بعد «رجال دولة» بترحاب واسع. لذا، فإنّ عجلة الزمان تدور، ولم تزل كذلك. بطبيعة الحال، فإنّ ذَيْل سردية من شاكلة المسلّمات، السردية المطمئنة لمعتنقيها، المعصومة من الفشل، لا يعني أنّ تنقيحها سيكون يسيراً. ثمّة تعبير بريطاني قديم يصف جيّداً اختبار بريطانيا الاستعمارية للتحدّي الصامت للسرد السائد آنذاك في كلٍّ من إيرلندا والهند، عُرف باسم «التَّغَطْرُس الغبي». فلمّا كانت حركات التمرّد الفردية مكلفة على المستوى الشخصي وبلا جدوى، كان تعبيرهم «الصامت» المرير عن تعجرف «أسيادهم» الغبي، أبلغ من أيّ قول. أثار ذلك حنق الحكّام البريطانيين، مذكّراً إياهم بعجزهم عن الشرعية. امتهن غاندي الصمت البليغ بأقصاه، كتب سرديته، فصارت هي التاريخ.

مع سيطرة التكنولوجيا العالمية على السرد اليوم، نكون قد دخلنا في نظام «للاشياء»، يختلف تماماً عن ذلك للجهود البريطانية المبكرة في كبح التمرّدات. فطوال العقدين الماضيين، لاحظ مراقبون غربيون كثُر عواقب انمساخنا المُفاجئ إلى إمبراطوريات مراقبة تشغّلها هندسات مراقبة السلوك، والتحليل، والاستهداف، والتنبؤ العالية، التي أسموها «رأسمالية المراقبة» Surveillance Capitalism. معتمدة على قوة قدراتها في المراقبة، وفي خدمة أرباحها منها، صمّمت تلك الإمبراطوريات انقلاباً معرفياً مناهضاً للديمقراطية بأساسه، تميّز بتحشيد غير مسبوق لـ«المعرفة عنّا»، والقوة غير المسؤولة الناجمة عن تلك المعرفة.

شدّة الخطورة تكمن في جوهر الانقلاب المعرفي. إذ أنهم (حكام الإمبراطوريات) يستأثرون بسلطة «من يعرف ماذا» Who Knows What، ما يعني أنّهم يتراكمون اليوم والديمقراطية على الحقوق والمبادئ الأساسية التي استحدَث نظامنا الاجتماعي في هذا القرن. إذن، هل سيجبرنا الإدراك المتنامي لهذا الانقلاب على احتساب الحقيقة اللامؤاتية التي ظهرت في العقدين الماضيين؟ فإمّا أن تكون لنا ديمقراطية، أو أن يكون لنا مجتمع مراقَب، لكن بالطبع ليس كلاهما.

يمثل هذا، بوضوح، مبلغاً مختلفاً تماماً من «سيطرة» باتت اليوم أداةً كبح مهولة تستخدمها الإمبراطوريات في لجم أيّ معارضة أو انشقاق داخلي وخارجي على حد سواء. ناهيك عمّا إذا ما تمّ دمجها بأساليب الغرب في مكافحة السرد «الإرهابي» التي شحذها الأباطرة خلال «حربهم العظمى على الإرهاب».

على أيّ حال، للقوة تلك مكامن ضعف. ببساطة، ولكونك منغمساً بشدة في «واقع» معيّن، فإنّك لن تصغي لـ«حقائق» الآخرين، إذ أنّها لا تشرق خلف السهول اللامتناهية للخطاب الرضائي، وليس لها أن تخرق الحجاب الصلب للسردية السائدة، أو أن تشدّ انتباه النخب المُنَصَّبَة على إدارة روايتها الخاصة عن الواقع. أما «الضعف الهائل»، فهو إيمان النخب برواياتهم الخاصة، متناسين أنّ السرد اعتبر يوماً مجرّد وهم، واحد من كثير، تم اختلاقه لاستحواذ خيال مجتمع السارد، لا المجتمعات الأخرى. يفقد هؤلاء القدرة على الابتعاد قليلاً. لرؤية أنفسهم كما يراها الآخرون، فيفتتون بفضيلة مفهومهم للعالم، لدرجة أنّهم يفقدون قدرتهم على قبول حقائق الآخرين. المغزى هنا، أنه في هذا الحديث المتجاهل للكيانات الأخرى، سيُساء تفسير دوافع ونوايا الآخرين، وبشكل تراجيدي أحياناً.

الأمثلة على ذلك وفيرة، لكن يبقى أن تصوّر إدارة جو بايدن بأنّ الزمن قد انقطع، مذ رحل باراك أوباما عن الدول القويمة، ستجابه الكارتلات بالرفض أي ديمقراطية أو تدخل خارجي في دائرة صنع قراراها الضيقة.

إنّ إستراتيجية الغرب المعادية لروسيا، مشروطة بمعرفة أن ليس للأخيرة مكان آخر تذهب إليه، وبالتالي ينبغي لها الشعور بالسعادة والشرف بفكرة تنازل الاتحاد الأوروبي عن قطع أصابعها الممتدّة نحو أوراسيا. في حين أنّه، مع تحول مركز الثقل الجيو - اكونوميكي إلى الصين وشرق آسيا اليوم، فإن السؤال الأكثر واقعيةً هو ما إذا كان وسط أوراسيا الكبرى، بتعداده البالغ 2.2 مليار نسمة، يشعر بأنه من المجدي له مدّ مجسّاته نحو الاتحاد الأوروبي. هذا ليس بالأمر الهيّن، فتحيّر الاتحاد الأوروبي من تشنيع لافروف له في موسكو هو أمر. واحتمال أن تسمع الولايات المتحدة لروسيا والصين، من دون أن تنصت لهما، أمر مختلف تماماً. سوء السمع والتصورات الخاطئة لهاتين الدولتين يرقى إلى مستوى الحرب والسلام العالميين. الغرب اليوم يحقّق في سرّته، لن يرى سواها.

* باحث لبناني

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كومكورد - الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 - 666314 01 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

اليمن

يلقي التحالف السعودي - الإماراتي بكلّ ثقله لوقف تقدُّم قوات صنعاء نحو مدينة مأرب، إلى حدّ الاستعانة بتنظيمي «القاعدة» و«داعش»، الذي أعلن رسمياً مشاركته في المعارك. على رغم ذلك، تفشل القوات الموالية لـ«التحالف» في استعادة زمام المبادرة في محيط المدينة. فيما يواصل الجيش و«اللجان الشعبية» تقدُّمهما، وإن ببطء فرضته كثافة الغارات الجوّية، والتحشيد القتالي غير المسبوق إلى مأرب

«التحالف» يفشل في استعادة المبادرة
«داعش» و«القاعدة» يقودان معارك مأرب

لجان قوات هادي، منذ أيام، إلى بثّ إشاعات عن انتصارات لا وجود لها في الواقع (أ ف ب)

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

لم تتمكّن قوات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، خلال الساعات الـ48 الماضية، من تغيير المعادلة العسكرية على الأرض في جبهات شرق صرواح، على رغم تلقّيها تعزيزات عسكرية كبيرة خلال اليومين الفائتين. وعلى عكس ما تَروّجه من استعادتها بعض المناطق التي سقطت تحت سيطرة قوات صنعاء في الأيام الماضية، تفيد مصادر عسكرية في جبهات صرواح بأن الموقف العسكري لقوات هادي لا يزال موقف دفاع، على رغم قيامها باستحداث المزيد من المتاريس والخنادق القتالية في بعض أجزاء جبال البلق القبلي المطلّة على سدّ مأرب.

وأوضحت مصادر قبلية في محافظة مأرب، في حديث إلى «الأخبار»، أن «المواجهات بين الطرفين جرت من المسافة صفر في عدد من جبهات صرواح غرب مدينة مأرب». وأشارت إلى أن «المعارك دارت في جنوب الطلعة الحمراء التي لم تُعد تحت سيطرة أيّ طرف بسبب كثافة الغارات التي يشنّها طيران العدوان السعودي على الطلعة»، لافتة إلى تمكّن «قوات الجيش واللجان الشعبية من السيطرة على تبّة العصيدة الواقعة بعد الطلعة الحمراء شرق صرواح، بعدما توغّلت في مساحات واسعة واقعة في نطاق التبّة نفسها، وحاصرت عدداً من الوحدات العسكرية التابعة للمنطقة العسكرية الثالثة لقوات هادي في تلك المناطق». وتزامن هذا التقدُّم مع آخر في جبهات غرب المدينة، حيث سيطر الجيش و«اللجان» على كامل منطقة دش الحقن الواقعة في محيط جبال الخشب التي تبعد 7 كيلومترات عن الأحياء الغربية لمدينة مأرب، فيما تحدّثت مصادر مطّلعة عن اشتداد المواجهات في وادي نخلا الواقع في نطاق قبيلة عبيدة من دون تسجيل تقدُّم لأيّ طرف. وفي جبهات العلم شمال المحافظة، حاولت قوات هادي الانتقال من الدفاع إلى الهجوم، وشنّت عملية ضدّ مواقع تابعة للجيش و«اللجان»، إلّا أنها فشلت في إحراز أيّ تقدُّم. وفي المقابل، تمكّنت قوات صنعاء، فجر الخميس، من إحراز تقدُّم كبير نحو مركز مديرية رغوان غرب مأرب. ووفقاً لمصادر عسكرية، فإن التقدّم في قرية أسداس وفي قرية آل زيع وعدد من المناطق الواقعة في نطاق مركز المديرية أدّى إلى التحام جبهتين من جبهات الجيش و«اللجان»، وهو ما من شأنه أن يُعزّز هجماتها غرب مدينة مأرب. وبحسب مصادر مطّلعة، فقد تمكّنت قوات صنعاء، أمس، من نصب كمين لعدد من كتائب «اللواء 163» التابع لهادي، في أطراف جبل المشجح غرب مأرب، في حين لا يزال مصير اللواء غامضاً بعد محاصرته.

وبعد تلقّيها تعزيزات عسكرية كبيرة خلال الأيام القليلة الماضية، صعّدت قوات هادي في جبهات آل أحمد في مديرية جبل مراد جنوب مأرب، ودفعت بالمئات من العناصر نحو جبهات غرب المدينة، إلا أنها فقدت المزيد من القيادات العليا في المعركة. فبعد أيّام من مقتل قائدَي «اللواء 203 - مشاة ميكا» و«اللواء 62 - مدرّع» في جبهات صرواح، اعترفت بمقتل قائد «لواء الصقور» الموالي لها، العميد أحمد الشرعبي، في جبهات الكسارة الخميس، كما تكتّمت عن استسلام الكتيبة الثانية في «اللواء 117» أول من أمس في جبهة شرق صرواح. وبعكس ما يحدث على الأرض، لجأت قوات هادي، منذ أيام، إلى بثّ إشاعات عن انتصارات لا وجود لها في الواقع، مُحاولةً بذلك رفع الروح المعنوية المنهارة لجنودها، والتكتّم عن خسائرها العسكرية في المعركة التي مضى على انطلاقها أسبوعان، خشية فشل خطّة التحشيد التي تُنفّذها في مختلف المحافظات الجنوبية ومحافظة تعز تحت شعارات طائفية. وفي هذا الإطار، أكدت مصادر محلية في محافظة شبوة (شرق) توجيه سلطات حزب «الإصلاح»، المسيطرة على المحافظة، جميع المساجد بتحريض المواطنين على التوجُّه للقتال في مأرب. ووفقاً للمصادر، فقد أطلق مكتب الأوقاف في شبوة حملة «الهبّة الشبوانية لنصرة محافظة مأرب»، والهادفة إلى حثّ المواطنين على التوجُّه شمالاً. وتأتي حملات التحريض هذه بالتزامن مع إعلان تنظيم «داعش»، رسمياً، الأربعاء، مشاركته في القتال في جبهات غرب مأرب إلى جانب قوات هادي، فضلاً عن قيام الأخيرة بمنح أحد قيادات تنظيم «القاعدة» في أبين، المدعو «أبو منيرة المرقشي»، رتبة عقيد، وتعيينه قائداً لجبهة الكسارة غرب مدينة مأرب. بالتوازي مع ذلك، وجّهت السعودية بتصعيد القتال في جبهات مريس وقعطبة في محافظة الضالع (جنوباً) الواقعة على الحدود مع محافظة إب (شمالاً)، لتخفيف الضغط العسكري عن مأرب.

> **المواجهات بين الطرفين جرت من المسافة صفر في عدد من جبهات صرواح غرب مدينة مأرب**

إزاء ذلك، شدّد زعيم حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، في خطابه أمس بمناسبة «جمعة رجب»، على أن «المعارك التي يخوضها الجيش واللجان الشعبية في مأرب والجوف والبيضاء وتعز والساحل وكلّ الاتجاهات، هي تصدٍّ للمعتدي الذي حارب الشعب اليمني، ويريد السيطرة والوصاية عليه»، مؤكداً أن «المعركة الحالية في مأرب أو في أيّ محافظة ليست مع أبناء المحافظة»، لافتاً إلى أن «قلّة قليلة من أبناء مأرب تقاتل تحت إمرة ضابط سعودي، ويحاولون فرض السيطرة السعودية في إطار الولاء لأمريكا والتطبيع مع إسرائيل». وكان المكتب السياسي لـ«أنصار الله» استهجن، الخميس، الضغوط الدولية لوقف تحرير مأرب، داعياً بدلاً من ذلك إلى وقف العدوان ورفع الحصار.

تقرير

نحو 140 ألف برميل نفط تُهرّب يومياً
«قسد» شريكة في حصار السوريين

تعمل «الإدارة الذاتية» الكردية على استثمار سيطرتها على آبار النفط في الشرق السوري، لتحقيق واردات مالية تُعزّز من سطوتها الإدارية والعسكرية في تلك المناطق، في وقت تعتبر فيه الحكومة السورية ذلك تعدّياً على الممتلكات العامة، وسرقة موصوفة، وحرماناً للشعب السوري من الاستفادة من ثروات بلاده.

الحسكة ـ **ايهم مرعي**

يعدُّ ملف المشتقّات النفطية من أكثر الملفّات أهمّية في الواقع المعيش يومياً في البلاد، سواء لجهة معاناة المدنيين المتزايدة في توفير حاجتهم من المحروقات، أم لجهة الصعوبات التي تواجهها الحكومة في تأمين المواد، واضطرارها إلى اتّباع أساليب مختلفة للحصول على واردات نفطية جديدة، في ظلّ اشتداد الحصار وتزايد العقوبات. والجدير ذكره، هنا، أن سوريا، قبل الحرب، كانت تكتفي بإنتاجها المحلّي من المشتقّات النفطية، وتُصدّر كمّيات منه، مع وصولها إلى مرحلة «صفر تقنين»، وبيع كميات من الكهرباء للبلدان المجاورة. وتقول وزارة النفط السورية، في إحصاءات رسمية صادرة عنها، أن «إنتاج البلاد من النفط كان يصل يومياً، في العام 2010، إلى نحو 380 ألف برميل من النفط الخام». وتتركّز غالبية الثروات النفطية والغازية في البلاد في أرياف محافظتَي الحسكة ودير الزور، والتي تسيطر عليها الآن «قوات سوريا الديمقراطية»، ما يمنع الحكومة السورية من الاستفادة من الإنتاج، على رغم وجود الموظفين الحكوميين في بعض المواقع النفطية. وخلال السنوات الماضية، استثمر تنظيم «داعش» الإرهابي سيطرته على غالبية مناطق انتشار النفط والغاز في سوريا، لتحقيق عائدات مكّنت داخلاً مالياً كبيراً له. وكانت «الأخبار» قد نشرت، في تقرير سابق في العام 2015، أن سيطرة التنظيم الإرهابي على آبار النفط في دير الزور وريف الحسكة الجنوبي وفّرت له إنتاجاً بما يراوح بين 240 ألفاً و300 ألف برميل شهرياً، وبواقع إنتاج يومي يزيد على 70 ألف برميل، من تلك الحقول فقط.

> **تنتج «الإدارة الذاتية» 80 ألف برميل من النفط يومياً بنحو شبه ثابت**

وبعد سيطرة «قسد» بدعم من «التحالف الدولي»، على تلك المناطق، غابت أيّ أرقام أو إحصاءات دقيقة عن إنتاج النفط هناك، في وقت يشاهد فيه السكّان يومياً قوافل من الصهاريج تَعبُر في اتّجاهات عديدة، انطلاقاً من مناطق سيطرة «قسد»، في ما يبدو أنه عمليات بيع وتهريب للنفط الخام. وفي ظلّ غياب أرقام دقيقة لحجم الإنتاج، كشفت مواقع إعلامية كردية أن «إنتاج الإدارة الذاتية من النفط وصل إلى 100 ألف برميل يومياً، تصل إيراداتها إلى مئات الملايين من الدولارات». إلا أن مصدراً فنّياً مطّلعاً على إنتاج آبار النفط في مناطق سيطرة «قسد» يوضح، في حديث إلى «الأخبار»، أن «هذا الرقم يزيد أحياناً أو ينقص، بحسب الحالة الفنّية للآبار، وغزارة إنتاجها، وقلّة الأعطال». ويضيف المصدر أن «الكمية المنتَجة يومياً تصل إلى 80 ألف برميل بشكل شبه ثابت، من مختلف الحقول والآبار في الشرق السوري، مع زيادة يومية تتوقّف كمّيتها على الحالة الفنّية للآبار». ويكشف أن «كمّيات من هذا الإنتاج تُوزَّع في مناطق سيطرة قسد، بعد تكريرها في مصافٍ بدائية،

كانت سوريا قبل الحرب تكتفي بإنتاجها المحلّي من المشتقّات النفطية وتصدّر كمّيات منه (أ ف ب)

والكمّيات الأخرى ترسَل إلى مناطق سيطرة الحكومة، أو تُصدَّر باتجاه العراق». ويُرجع ضعف الإنتاج في الآبار إلى «التدمير والأعطال التي طالت المحطّات والحقول والآبار، نتيجة قصف التحالف للمنطقة خلال سيطرة تنظيم داعش عليها»، مؤكداً أن «الجانب الأميركي يرفض دخول الورشات الحكومية إلى آبار النفط في دير الزور لمعاينتها والاطّلاع على الأضرار التي لحقت بها، وإمكانية صيانتها». كما يلفت إلى أن «شركة النفط الأميركية، ديلتا كريسانت إينيرجي، لم تدخل بعد إلى مناطق سيطرة الإدارة الذاتية، على رغم مرور نحو ثمانية أشهر على الإعلان عن توقيع اتفاق بهذا الخصوص». ويرى أن «سبب التأخير هو الحالة الأمنية غير المستقرّة لآبار دير الزور والحسكة، ما يجعل مهمّة عمل أيّ شركة أمراً مستحيلاً، خاصة بعد الإعلان الأميركي عن التخلّي عن حماية المنشآت النفطية». وكانت وزارة الخارجية السورية أصدرت بياناً، في الصيف الماضي، تعليقاً على الإعلان عن توقيع اتفاق بين «قسد» وشركة نفط أميركية، أكدت فيه أن «هذا الاتفاق يُعدّ سرقة موصوفة متكاملة الأركان، ولا يمكن أن يوصف إلا بصفقة بين لصوص تسرق، ولصوص تشتري». واعتبرت الوزارة أن «هذا يشكّل اعتداءً على السيادة السورية، واستمراراً للنهج العدائي الأميركي تجاه سوريا، في سرقة ثروات الشعب السوري وإعاقة جهود الدولة السورية لإعادة إعمار ما دمّره الإرهاب، المدعوم بمعظمه من قِبَل الإدارة الأميركية نفسها».

وفي هذا السياق، يكشف محافظ الحسكة، اللواء غسان حليم خليل، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «ميليشيا قسد تسرق يومياً من الحقول النفطية نحو 140 ألف برميل، ما يُعدّ اعتداءً على ثروات الشعب السوري»، مُبيّناً أن «السرقة تتمّ بطرق وأساليب مختلفة، وبمشاركة وتسهيل من الاحتلال الأميركي الداعم لهذه الميليشيا». ويلفت إلى «معلومات مؤكدة عن وجود خزّانات في منطقة طرميش القريبة من نهر دجلة في مدينة المالكية، يتمّ عبرها تهريب النفط باتجاه الأراضي العراقية». ويضيف أن «أعداداً كبيرة من الصهاريج تَعبُر يومياً عبر معبر المحمودية غير الشرعي، باتجاه العراق أيضاً». ويتابع أن «كمّيات أخرى تُدخل إلى مناطق سيطرة الإرهابيين، فيما يَعبُر يومياً نحو 140 صهريجاً إلى مناطق سيطرة الحكومة، عبر تجّار محلّيين»، مؤكداً أن «الأميركيين يُعطون تعليمات لقسد بعدم توريد أيّ كمّيات نفط إلى مناطق سيطرة الحكومة، تطبيقاً لقانون قيصر». ويصف المحافظ هذه الأعمال بأنها «سرقة موصوفة لثروات الشعب السوري الذي يعاني من البرد والجوع، في وقت تُنهب وتُسرق فيه خيرات البلاد، وتُهرَّب خارج الحدود».

سوريا

ما بعد صفقة التبادل: أيّ موقف لموسكو من اعتداءات تل أبيب؟

يحيى دبوق

انتهاء عملية تبادل معتقلَين بين إسرائيل وسوريا، برعاية الجانب الروسي، لا ينهي دلالاتها، كما لا يُظهر كلّ بنودها التي يُفترض أن تظهر تباعاً، وهو ما بدأ يتسرّب في الإعلام العبري، المحكوم بالرقابة التي تفرض عليه الصمت إزاءها. ولا يتعلّق الأمر فقط بما ورد أمس في صحيفة «هآرتس»، التي كشفت أن صفقة التبادل تضمّنت «بنداً استثنائياً لم يُنشر وبقي مخفيّاً عن الجمهور»، بل بإشاراتٍ دالّة على توجّهات مغايرة - لم تتّضح إلى الآن حدودها النهائية - في الموقف الروسي من الاعتداءات الإسرائيلية في سوريا. وفي هذا الإطار، كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، بدورها، أمس، أن موسكو طلبت من تل أبيب، عبر ما قالت إنها «تلميحات»، وقف الهجمات الإسرائيلية على الأراضي السورية، في سياق التفاوض على إطلاق المستوطنة الإسرائيلية التي كانت في قبضة القوات السورية. ووفقاً للصحيفة، كان الردّ الإسرائيلي «قاطعاً»، و«حسناً فعل وزير الأمن بني غانتس، ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، إذ أوضحا للروس أن القضية إنسانية بحتة ولا مجال لإثارة مطالب ذات طابع سياسي أو عسكري، كأن تُوقف إسرائيل عملياتها في سوريا، سواء بالقرب من الحدود في الجولان أم في العمق السوري». وبحسب الصحيفة أيضاً، وهنا العنصر الأهمّ في ما أوردته، فـ«من الواضح أن الروس أثاروا مثل هذا الاحتمال عبر تلميحات للمؤسّسة الأمنية في إسرائيل، لكن الردّ الإسرائيلي لم يترك مجالاً لمزيد من النقاش حول هذه القضية، فإسرائيل لن تُضحّي بمصلحة استراتيجية، مقابل قضية إنسانية».

بالطبع، لا يعني ذلك أن تل أبيب كانت في وارد الموافقة على وقف هجماتها عبر صفقة التبادل، وبهذه السرعة أيضاً. كما لا يعني أن روسيا بحاجة إلى صفقة من هذا النوع لتَطلُب أو لتُلزِم إسرائيل بوقف هجماتها. إلا أنه دالّ على توجّه روسي، لاحق ربّما، يفرض التوقّف عنده وفحص معالمه وحدوده. وكانت صحيفة «هآرتس» كشفت، أمس، أن الجانب الإسرائيلي اطلق، بموجب صفقة التبادل، راعيَين سوريّين اعتقلهما جيش العدو قبل أسبوعين، بحجّة تجاوزهما الحدود في الجولان، إضافة إلى صدور عفو عن الأسيرة المحرَّرة نهال المقت. وأضافت الصحيفة أن الصفقة تضمّنت أيضاً «بنداً استثنائياً يُمنَع الحديث عنه»، و«لو نُشر لكان على ما يبدو أثار خلافاً في أوساط الجمهور الإسرائيلي»، مما تكشّف أمس، وكان لافتاً في دلالاته، أن إسرائيل خطفت الراعيَين السوريّين ونقلتهما إلى معتقلاتها، بهدف المساومة عليهما لإطلاق سراح المستوطنة الإسرائيلية، التي لم تدخل، للمفارقة، الأراضي السورية بالخطأ، بل عن قصد وتعمّد، من دون الكشف عن الهدف الفعلي من اجتيازها الحدود، علماً بأنها حاولت في السابق اجتياز الحدود الجنوبية والدخول إلى قطاع غزة. وقال معلّق الشؤون السياسية في موقع «والا»، بارك رافيد، في تقرير نشره في موقع «أكسيوس» الأميركي، إن الجنود الإسرائيليين أرسلوا، قبل أسبوعين، إلى المنطقة العازلة بين إسرائيل وسوريا بحثاً عن «أوراق مساومة»، وانتظروا هناك إلى أن عَبَر راعيا سوريان جيباً في المنطقة، فأسروهما ونقلوهما إلى إسرائيل.

كاشفت صحيفة «يديعوت احرونوت» ان موسكو طلبت من تل ابيب وقف الهجمات على الاراضي السورية (أ ف ب)

تقرير

واشنطن تضيّق على ابن سلمان: نشْر تقارير خاشقجي تباعاً

تزامن التواصل الأوّل الذي أجرته الإدارة الأميركية الجديدة مع وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، مع تسريب أوردته صحيفة «واشنطن بوست»، ويفيد بقُرب موعد نشر تقرير استخباراتي يُحدِّد دور الأمير الشاب في عمليّة اغتيال جمال خاشقجي. وبحسب مصادر الصحيفة الأميركية، فإن من شأن إتاحة التقرير الذي هو عبارة عن ملخّص غير سرّي لنتائج استخبارية تخصّ هذه القضيّة، توتير الأجواء المتوتّرة أصلاً بين إدارة جو بايدن والرياض. وذكرت الصحيفة أن الإدارة الأميركية طلبت من محكمة في نيويورك تمديد إرجاء رفع السرية عن جميع السجلات الخاصة بمقتل خاشقجي والمسؤول عن قتله، وعن تقرير وكالة الاستخبارات المركزية، «سي آي إيه»، في شأن حادثة القنصلية، حتى الشهر المقبل. وسبق هذا التسريب، اتصال أجراه وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، بنظيره السعودي ابن سلمان، جدّد فيه الأوّل التأكيد على أهمية «الشراكة الاستراتيجية الدفاعية» مع المملكة. وجاء التواصل المتأخّر في أعقاب إعلان جو بايدن إنهاء دعم بلاده للتحالف الذي تقوده السعودية في حربها على اليمن، وإزالة «أنصار الله» من قائمة «الجماعات الإرهابية». كما جاء بعد إعلان البيت الأبيض نيّته «إعادة ضبط» العلاقات بين واشنطن والرياض والتحادث مباشرة مع الملك السعودي سلمان، وليس مع وليّ العهد، كما كانت الحال في عهد دونالد ترامب. وأوضحت وزارة الدفاع الأميركية، «البنتاغون»، أن أوستن أراد «إعادة التأكيد على الشراكة الاستراتيجية الدفاعية» بين البلدين، مضيفةً إنه «ندّد أيضاً بالهجمات الحدودية الأخيرة للحوثيين على السعودية، وأعرب عن «التزامه بمساعدتها في الدفاع عن حدودها».

(الأخبار)

على الغلاف

تحتاج بلورة المسار الدبلوماسي الذي افتتحته إدارة الرئيس الاميركي، جو بايدن، لخرق حالة الجمود في الملف النووي الإيراني، إلى بعض الوقت حتّى تنضج نيّات البيت الأبيض الراغب في صفقةٍ موسّعة مع الجمهورية الإسلامية ترضي جمهوريّي الكونغرس وحلفاءه الإقليميين الذين يفضّلون الاستمرار في تطبيق "الضغوط القصوى" حتّى تتنازل طهران أوّلاً. وعلى رغم انقضاء أجل هذه السياسة التي أثبتت عدم نجاعتها، إلّا أن التشبُّث بآمال دبلوماسية يستلزم الكثير من الحذر الذي تبديه إيران إزاء أيّ خطوةٍ تُقدِم عليها أميركا

معركة طهران النووية: نقطة في مرمى واشنطن

استبقت إيران الصحوة الدبلوماسية الأميركية، بتحديد شرطها للعودة إلى الامتثال الكامل بموجب الاتّفاق النووي، والقاضي بتراجع الولايات المتحدة عن سياسة «الضغوط القصوى» ورفع كامل العقوبات التي أعيد فرضها تحت سقفها. إصرار طهران هذا، معطوفاً على تفكّكها من الالتزامات التي يفرضها الاتفاق، قلّص هامش المناورة لدى الإدارة الجديدة، ليكشف ما إذا كانت الأخيرة تنوي بالفعل تفعيل سياسة «ربط النزاع» في المنطقة، والعودة إلى صفقة عام 2015 التي تخلّى عنها دونالد ترامب. غير أنّ «الإشارات الرمزية» لا تبدو كافية في خضمّ التعقيدات الكامنة؛ فالمطلوب، بدلاً منها، خطوات عمليّة تجلّي النيات الأميركية، كما سبق أن أكّد المرشد الأعلى في إيران، علي خامنئي. الحذر الذي تبديه طهران، لا يخفي، على أيّ حال، استحداث إدارة جو بايدن مساراً دبلوماسياً من شأنه أن يخرق حالة الجمود المتراكم في الملفّ الإيراني، في ظلّ إبداء الولايات المتحدة استعدادها للمشاركة في مباحثات سيُنظّمها الاتحاد الأوروبي، لإحياء الاتفاق النووي في إطار مجموعة «5+1». وهي خطوةٌ ردّ عليها وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، بتجديد الدعوة إلى الالتزام بقرار مجلس الأمن الدولي الرقم 2231، عبر «رفع الولايات المتحدة بشكل غير مشروط وفاعل كلّ العقوبات التي فُرضت أو أعيد فرضها أو أعيدت تسميتها من قِبَل ترامب. وعندها، سنعكس فوراً كلّ الإجراءات التعويضية التي اتّخذناها» اعتباراً من منتصف عام 2019، وشملت التراجع عن العديد من الالتزامات الأساسية بموجب الاتفاق، ردّاً على الانسحاب الأميركي منه. وتنتهي غداً المهلة التي حدّدتها الجمهورية الإسلامية لتعليق العمل بـ«البروتوكول الإضافي» الملحق بمعاهدة الحدّ من انتشار الأسلحة النووية، في حال عدم رفع أميركا للعقوبات، وهو ما يفرض تقييد بعض جوانب نشاط مفتّشي «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» التي أكّدت تبلُّغها من طهران دخول الخطوة حيّز التنفيذ في الـ 23 من الشهر الحالي، التزاماً بالمهلة التي حدّدها قانون «الإجراءات الاستراتيجية لرفع العقوبات».

يؤرّق هذا الإجراء الدول الغربية الموقّعة على الاتفاق، والتي دعت إيران إلى تقييم «عواقبه» وخصوصاً في هذه اللحظة التي تسنح فيها «فرصة للعودة إلى الدبلوماسية». إذ يمكن مثل هذه الخطوة، بنظر هؤلاء، أن تقضي على الاتفاق النووي تماماً، ولا سيما أنها تُتوّج تصعيداً نووياً بدأ مطلع العام الجاري، بقرار رفع تخصيب اليورانيوم إلى 20%، ومباشرة طهران إنتاج اليورانيوم المعدني، تقليصاً لالتزاماتها بموجب «خطّة العمل الشاملة المشتركة»، وتعليقاً على الخطوة الإيرانية، قال دبلوماسي أوروبي: «إذا فقدنا أعيننا وآذاننا على الأرض، لن تكون هناك عودة إلى الوراء». لكن أيّاً من الطرفين لم يتراجع بعد عن إصراره على أن يتحرّك الآخر أولاً. ويخشى بايدن ووزير خارجيته، أنتوني بلينكن، من أن يُنظر إليهما على أنهما ضعيفان، فيما لو قدّما أيّ تنازلات بداية. وهذا القلق ينبع بشكل خاص من حَرَج جمهوريّي الكونغرس، الذين يحتاج البيت الأبيض إلى أصواتهم لتمرير أولويات أكثر إلحاحاً، مثل حزمة بايدن الإغاثية البالغة 1,9 تريليون دولار، وخططه الطموحة للاستثمار في البنية التحتية. ومع ذلك، أبدى بعض المتشدّدين في واشنطن عدم رضى إزاء التطورات الأخيرة، وسط قلق من احتمال أن ترضخ الإدارة الأميركية في النهاية لإنقاذ صفقةٍ شارك في بلورتها عدد من كبار مستشاري بايدن في السياسة الخارجية، بمَن فيهم مبعوثه إلى إيران روبرت مالي، ومستشار الأمن القومي جايك سوليفان. والنتيجة، كما يقول الخبير المحافظ في شؤون الشرق الأوسط، ريويل مارك غيريخت، لمجلة «فورين بوليسي»، «مفروغ منها»، لأن الإدارة «سترمش أوّلاً، وسترفع العقوبات المفروضة على إيران بشكل غير متناسب، بينما ستواصل الأخيرة انتهاك معاهدة الحدّ من انتشار الأسلحة النووية».

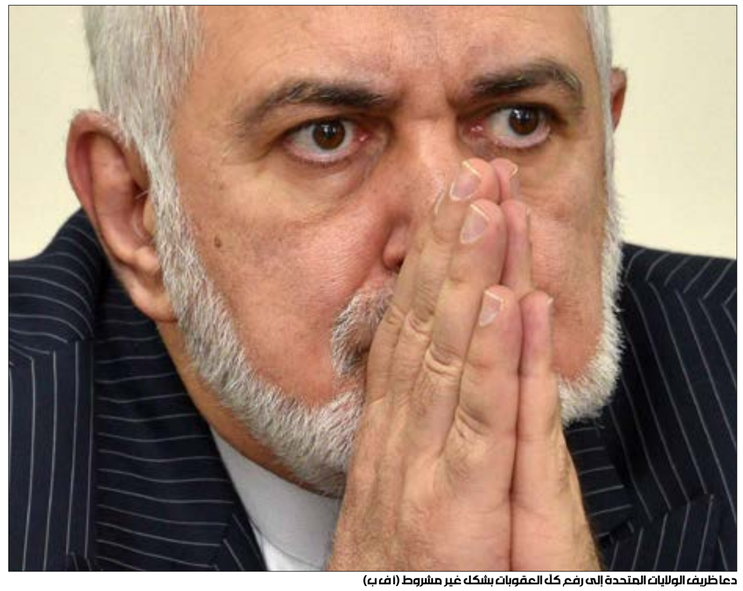
دعا ظريف الولايات المتحدة إلى رفع كلّ العقوبات بشكلٍ غير مشروط (أ ف ب)

> تنتهي غداً المهلة التي حدّدتها إيران لتعليق العمل بـ«البروتوكول الإضافي»

لهذا، يعتزم الرئيس الأميركي استخدام جهود إحياء الاتفاق النووي كنقطة انطلاق لاتفاق أوسع نطاقاً يشمل برنامج إيران للصواريخ البالستية وحضورها الإقليمي، بغية الحصول على مباركة الجمهوريين الذين لا يبدون حماسة للعودة إلى الاتفاق.

الدلائل إلى تسارع الجهود الدبلوماسية قبل المهلة التي حدّدتها إيران في الـ 23 من الشهر الجاري، ظهرت أوّلاً من خلال الاتصال النادر الذي أجرته المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، يوم الأربعاء الماضي، بالرئيس الإيراني، حسن روحاني، لتخبره أن الجمهورية الإسلامية بحاجة إلى «إشارات إيجابية» قبل إحراز أيّ تقدم. وردّ روحاني بالقول إن السبيل الوحيد للمضيّ قدماً سيكون عبر إلغاء الولايات المتحدة أوّلاً عقوباتها «غير الإنسانية وغير القانونية» على إيران. لكن مسؤولاً إيرانياً كبيراً كشف، لـ«رويترز»، أن طهران تدرس بالفعل عرض واشنطن إجراء محادثات، إلّا أنه جدّد ما جاء على لسان الرئيس الإيراني، إذ قال إنه «يمكن مناقشة آلية تسلسل زمني أساسي بالخطوات... ولكن رسالتنا واضحة للغاية: ارفعوا العقوبات وافتحوا الطريق للدبلوماسية». وفي هذا الإطار، أكّد مسؤول أوروبي، لـ«رويترز»، أن أيّ دعوات لم ترسل ولم يتحدّد أيّ إطار زمني للاجتماع، لكن القوى العالمية تريد إحياء الاتفاق النووي بأسرع وقت ممكن، مضيفاً: «لا أعتقد أن إيران ستقول لا لأيّ محاولة عمليّة لعقد اجتماع غير رسمي مع جميع الدول حول الطاولة، سيكون أساساً لإعادة خطة العمل الشاملة المشتركة إلى مسارها الصحيح». حتى الآن، لا يوجد حلّ دبلوماسي مطروح على الطاولة. وقبل الموعد النهائي، سيحلّ المدير العام لـ«الوكالة الدولية للطاقة الذرية»، رافائيل غروسي، ضيفاً على طهران اليوم لإجراء مزيد من المحادثات. في غضون ذلك، ترغب إيران في أن ينسّق وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، عودةً متزامنةً إلى الاتفاق بين طهران وواشنطن.

(الأخبار)

إسرائيل والخيار البديل: ازدهار إيران أم تقدّمها النووي؟

علي حيدر

قبل سنوات، مع إعلان الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، عقوباته القصوى وغير المسبوقة على إيران، ارتفع منسوب الرهانات في تل أبيب، ولدى بعض الجهات السياسية والإعلامية في العالم العربي، على أن الجمهورية الإسلامية باتت في مأزق استراتيجي يضعها أمام سيناريوات مُحدّدة: إمّا التدحرج باتجاه سقوط النظام، أو خضوعه

> تتجلّى معالم المأزق الإسرائيلي في أن السيناريوات المُفضّلة باتت أكثر بعداً عن التحقّق

للمطالب الأميركية، أو انتفاضة شعبية تؤدّي إلى أحد السيناريوين السابقَين. وأيّ تقدير آخر اعتُبر غير موضوعي، ومُعبّراً عن آمال أكثر منه عن وقائع. الآن، انقلب المشهد بالنسبة إلى كبار العدو، بعدما بدأ يتلمّس فشل رهاناته وخياراته، في ظلّ حقيقتَين متوازيتَين: الأولى أن إيران تجاوزت الأسوأ على المستوى الاقتصادي، وهو أمر أكّده المرشد السيد علي خامنئي، وأيضاً تقديرات دولية تحدّثت عن أن إيران ستُحقّق نمواً إيجابياً في هذه السنة، على رغم العقوبات الاقتصادية؛ والثانية، على سياسة التهويل بخيارات عسكرية دراماتيكية هدفت إلى ثنيها عن خياراتها، ومن ثمّ ارتقاؤها في ردّها المتدحرج في المجال النووي، والذي بلغ مستويات فاجأت القوى الإقليمية والدولية نتيجة قراءة خاطئة للواقع الإيراني، وصولاً إلى تحديد المرشد ثوابت نهائية للعودة إلى الالتزام بمقتضيات الاتفاق النووي. يُضاف إلى ذلك أن إدارة بايدن تتبنّى خيار العودة إلى الاتفاق، ولو بصيغة ما، لن تكون بالتأكيد بمستوى الآمال التي تطمح إليها إسرائيل، ما يعني، بمعايير الأمن القومي الإسرائيلي، تدحرُج المخاطر التي يواجهها الكيان اليوم في بيئته الإقليمية، إلى مأزق استراتيجي أكثر خطورة.

تتجلّى معالم هذا المأزق، أوّلاً، في أن السيناريوات المُفضّلة لدى إسرائيل، أي إخضاع إيران أو ارتداعها أو توجيه ضربة عسكرية أميركية إليها، باتت، نتيجة مُتغيّرات سياسية إقليمية ودولية في معادلات القوة أكثر بعداً عن التحقّق من أيّ وقت مضى، في حين أن السيناريوات الممكنة البديلة ينطوي كلٌّ منها على مخاطر تختلف النظرة إلى بعضها بين الأجهزة والقيادات السياسية والأمنية في تل أبيب. الأهمّ في هذا المشهد، أن منشأ المسار الذي يدفع نحو السيناريوات التي تتخوّف منها إسرائيل، يعود، بالدرجة الأولى، إلى صمود إيران أمام «الضغوط القصوى»، وإلى فشل سياسة تحويل خيارات عسكرية دراماتيكية هدفت إلى ثنيها عن خياراتها، ومن ثمّ ارتقاؤها في ردّها المتدحرج في المجال النووي، والذي بلغ مستويات فاجأت القوى الإقليمية والدولية نتيجة قراءة خاطئة للواقع الإيراني، وصولاً إلى تحديد المرشد ثوابت نهائية للعودة إلى الالتزام بمقتضيات الاتفاق النووي. يُضاف إلى ذلك أن إدارة بايدن تتبنّى خيار العودة إلى الاتفاق، ولو بصيغة ما، لن تكون بالتأكيد بمستوى الآمال التي تطمح إليها إسرائيل، ما يعني، بمعايير الأمن القومي الإسرائيلي، تدحرُج المخاطر التي يواجهها الكيان اليوم في بيئته الإقليمية، إلى مأزق استراتيجي أكثر خطورة.

تتجلّى معالم هذا المأزق، أوّلاً، في أن السيناريوات المُفضّلة لدى إسرائيل، أي إخضاع إيران أو ارتداعها أو توجيه ضربة عسكرية أميركية إليها، باتت، نتيجة مُتغيّرات سياسية إقليمية ودولية في معادلات القوة أكثر بعداً عن التحقّق من أيّ وقت مضى، في حين أن السيناريوات الممكنة البديلة ينطوي كلٌّ منها على مخاطر تختلف النظرة إلى بعضها بين الأجهزة والقيادات السياسية والأمنية في تل أبيب. الأهمّ في هذا المشهد، أن منشأ المسار الذي يدفع نحو السيناريوات التي تتخوّف منها إسرائيل، يعود، بالدرجة الأولى، إلى صمود إيران

تجمع القيادات السياسية والعسكرية والاستخبارية على رفض العودة إلى اتفاق 2015 (أ ف ب)

تشاء. ويعني ذلك أنه بعد انتهاء المواعيد، ستملك إيران المشروعية والقدرة على إنتاج أسلحة نووية، بعد أقلّ من عقد. أمّا بخصوص التوصُّل إلى اتفاق مُحسَّن، فقد كشفت صحيفة «معاريف» أن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، كرّر، في محادثات كثيرة خلال الأشهر الأخيرة، أنه «لا يؤمن أن بالإمكان التوصُّل إلى اتفاق نووي مُحسَّن مع إيران»، في إشارة إلى تبدُّد الرهان لديه على إمكانية إخضاعها. ويبدو أن هذا هو ما استخلصه من تجربة «العقوبات القصوى».

في المقابل، يختلف العديد من المسؤولين في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية مع نتنياهو، ويرون أن هناك «إمكانية للتوصُّل إلى اتفاق مُحسَّن، يُبقي إيران على مسافة عشرات السنوات من القدرات النووية (العسكرية)». وأضافت «معاريف» إن رئيس الأركان، أفيف كوخافي، «الذي بدا كمَن يتّفق مع نتنياهو في الموضوع الإيراني، يؤمن أن بالإمكان التوصُّل إلى اتفاق مُحسَّن مرغوب فيه». وفي السياق نفسه، ثمّة اقتناع لدى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بأن «الفرق بين الاتفاق النووي السيئ الذي أبرمه أوباما، وبين اتفاق محسَّن، يكمن في تفاصيل صغيرة، يمكن أن تقبل بها إيران ولا تجعل الفرق كبيراً». ومن الواضح أن الأجهزة الأمنية والعسكرية تتخوّف من إيران متطوّرة نووياً، وانعكاسات ذلك على الأمن القومي الإسرائيلي. وعلى الخلفية ذاتها، أيّدت تلك الأجهزة، قبل خمس سنوات، الاتفاق النووي، كونه أبعد إيران عن القدرة على إنتاج أسلحة نووية.

وبخصوص الموقف من استمرار العقوبات كبديل من اتفاق مُحسَّن تقبل به إيران، يلاحَظ أن هناك اختلافاً في تقدير منسوب مخاطر السيناريوَين. من جهة، ترى الأجهزة الأمنية أن هذا المستوى من الاتفاق «أفضل من الوضع الحالي»، في حين أن نتنياهو أكّد، عبر بيان صادر عن مكتبه، تعليقاً على الخطوات الأميركية الأخيرة تجاه إيران، أن «الوضع الحالي من دون اتفاق أفضل من اتفاق مُحسَّن قليلاً». هكذا، يتجلّى بوضوح كيف تجد إسرائيل نفسها مضطرة إلى الاختيار بين الخطر والأخطر، نتيجة استنفاد خيارات بديلة ثبت عقمها، وبفعل المخاوف من أيّ مغامرة عسكرية، تدرك أنها ستكون محدودة النتائج وعالية الكلفة.

في هذه الأجواء، توالت المؤشّرات التي تُعزّز المخاوف في تل أبيب، وأحدثها توجيه رسالة إلى طهران تؤكّد تمسك واشنطن بخيار المفاوضات والتوصُّل إلى اتفاق بديل. ومع أن إيران ترفض الخطوات الرمزية بعيداً عن أيّ خطوات عملية تؤدّي إلى رفع العقوبات، إلا أن ذلك يؤدّي إلى تعزيز التقديرات في إسرائيل بأن مسار التطوّرات سيؤدّي في نهاية المطاف إمّا إلى التنسيق مع الولايات المتحدة حول التكيُّف مع السقف الذي ستتبنّاه الأخيرة، ومحاولة التأثير في بلورته، أو محاولة التفرّد بخيارات تدرك تل أبيب أنها غير قادرة على الذهاب بها حتى النهاية، أو محاولة القيام بدور المجنون الذي ثبت عقمه في المراحل السابقة، ولا يُتوقّع أن يحقّق أكثر مما حقّقه. وإلى حين تبلور الخيار النهائي، يبدو أن مؤسّسة القرار الإسرائيلية تراقب المشهد، في الوقت الذي تشهد فيه حالة من التجاذب حول تقدير المخاطر والخيارات الواجب اتخاذها. وفي كلّ الأحوال، ليس أمام تل أبيب سوى البحث عن الخيار الذي ترى أنه، بالمقارنة، أقلّ خطورة، لكنها قد تواجه تحدّياً من نوع آخر، مُتمثّلاً في أن ما هو أقلّ خطورة في المدى المنظور قد ينطوي على مخاطر مرتفعة على المدى البعيد، وبالعكس.

الجزائر

عامان على الحراك الشعبي: تبون يطلق المسار الانتخابي

بعد نحو ثلاثة أشهر من الغياب، أطلّ الرئيس عبد المجيد تبون على الجزائريين، عبر شاشة التلفزيون الرسمي، مُعلناً عن قرارات شكّل بعضها مفاجأة سارّة، خصوصاً في ما تعلّق بالإفراج عن معتقلي الرأي. يأتي ذلك في وقت يسود فيه الترقّب لما ستؤول إليه الأوضاع السياسية في البلاد، عشية الذكرى الثانية لانطلاق الحراك الشعبي.

الجزائر ـ محمد العيد

بدا خطاب الرئيس عبد المجيد تبون، أمس، الأكثر أهمّية منذ وصوله إلى رئاسة البلاد، كونه يأتي عقب غياب طويل للرجل بسبب المرض، ذكّر الجزائريين بسيناريو الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة. لذلك، لم يكن المنتظَر فقط مضمون الخطاب، بل الشكل الذي سيظهر عليه الرئيس أيضاً. ولإظهار تعافيه الكامل من المرض، حرص تبون على تقديم خطابه بشكل مرتجل، منتقلاً من ملفّ إلى آخر في حوالى نصف ساعة، قبل أن يُنهيه بالكشف عن حزمة من القرارات.

وفي أبرز ما ورد في الخطاب، قرّر تبون حلّ «المجلس الشعبي الوطني» وهو الغرفة الأولى للبرلمان، والذهاب نحو انتخابات تشريعية مبكرة. وتُدخل هذه الخطوة الجزائر، من الآن، في أجواء انتخابية؛ إذ يمنح الدستور الجزائري مهلة ثلاثة أشهر فقط لتنظيم الانتخابات. ويندرج هذا الإعلان في سياق الإصلاحات التي باشرها الرئيس، والتي انتهت باعتماد دستور جديد للبلاد، ثمّ تعديل قانون الانتخابات الذي غيّر كلّياً من نمط الاقتراع، وجعله أكثر جاذبية للترشُّح خاصة لدى فئة الشباب، مع تضمينه إجراءات تحدّ من نفوذ أصحاب المال في العملية الانتخابية.

وكان مطلب حلّ البرلمان الحالي من أهمّ ما دعا إليه الجزائريون في السنتين الأخيرتين، كونه مُشكّلاً في غالبيته من الأحزاب الموالية للرئيس السابق والتي كانت تعمل على إبقائه في الحكم مدى الحياة، خاصة «جبهة التحرير الوطني» و«التجمّع الوطني الديموقراطي». لكن تبون، بعد وصوله إلى الرئاسة، اثر من خطوة تعديل الدستور، مستفيداً من تحوُّل الأغلبية البرلمانية إلى مساندته، وهو ما ظهر في عدم عرقلتها لأيّ من قراراته. غير أن استكمال ما تُطلِق عليه الرئاسة «المسار الإصلاحي» كان لا بدّ أن ينتهي بحلّ البرلمان.

وفي ثاني القرارات التي كانت منتظرة في الخطاب، أعلن تبون عن تعديل حكومي يشمل الوزارات التي تَميّز أداؤها بالضعف. ويُنتظر، في غضون ساعات، أن يعلن عن قائمة الوزراء الجديدة، وسط تضارب في الأنباء عمّا إذا كان الوزير الأول، عبد العزيز جراد، سيبقى على رأس الحكومة أم سيغادرها. في غضون ذلك، يُرجَّح أن يشمل التعديل وزارات مثل التجارة والصناعة والثقافة، التي كان وزراؤها محلّ انتقاد دائم على وسائل الإعلام، بسبب الطابع الاستعراضي لنشاطهم

> لعلّ أهمّ ما أكسب خطاب الرئيس أهمية هو إعلانه عفواً رئاسياً عن عدد كبير من سجناء الحراك

في مقابل مردود هزيل في الميدان. لكن تساؤلات كثيرة تدور حول هذا التعديل الحكومي، خصوصاً لناحية توقيته الذي يسبق انتخابات تشريعية، يُفترض أن تكون هي الضابط لشكل الحكومة مستقبلاً من خلال ما ستُفرزه من أغلبية جديدة.

ولعلّ أهمّ ما أكسب خطاب الرئيس أهمية، هو إعلانه عفواً رئاسياً عن عدد كبير من سجناء الحراك الشعبي، في قرار لم يكن مُتوقّعاً في ظلّ رفض الرواية الرسمية إضفاء الطابع السياسي على هؤلاء المعتقلين. وقال تبون إنه أمضى على مرسوم رئاسي يقضي بالإفراج عن 30 معتقلاً صدرت في حقّهم أحكام نهائية، في حين سيجري الإفراج عن 25 آخرين ممّن نالوا أحكاماً ابتدائية أو مَن هم رهن الحبس المؤقّت قيد التحقيق. ويوجد في الجزائر، اليوم، بحسب تقديرات «اللجنة الوطنية للإفراج عن المعتقلين» نحو 100 معتقل رأي، مُتهمين في أغلبهم بقضايا تتعلّق بمنشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي الساعات الأولى لصباح أمس، تجمّع عدد كبير من أنصار الصحافي خالد درارني، عند أسوار سجن القليعة غربي العاصمة الجزائرية، أملين في الإفراج عنه. وانتشرت على مواقع التواصل أخبار خروج 14 معتقلاً في الولايات الداخلية، في انتظار استكمال إجراءات الإفراج عن البقية. وانتقد كثير من النشطاء تعمُّد السلطات الغموض في مسألة المعنيّين بالإفراج، ما ولّد حالة قلق كبيرة لدى عائلاتهم، خاصة أن العديد منهم نُقلوا إلى سجون بعيدة جدّاً عن مقارّ سكناهم. ومن بين المعتقلين المرشّحين لمغادرة السجن، الضابط السابق علي غديري والناشط السياسي رشيد نكاز، اللذان قضيا لحدّ الآن أكثر من سنة رهن الحبس المؤقّت.

ومن الواضح، وفق العديد من القراءات، أن إعلان الرئيس الإفراج عن المعتقلين يأتي في سياق محاولته تهدئة الشارع، قبل أيّام من حلول الذكرى الثانية لانطلاق الحراك الشعبي في 22 شباط/ فبراير 2019. وشكّلت مسألة معتقلي الرأي، على مدى سنتين، أبرز مطلب لنشطاء الحراك الشعبي، وكانت مصدراً دائماً للاحتقان ونزوع جزء من الطبقة السياسية إلى رفض الحوار مع السلطة. لكن هذه الخطوة تمّ استقبالها بحذر شديد من قِبَل نشطاء يخشون أن تكون فقط مجرّد مناورة من السلطة لتمرير ذكرى الحراك الشعبي، في ظلّ ارتفاع الدعوات للعودة إلى التظاهر، وإعادة إحياء الحراك في هذه المناسبة. وسبق للرئيس تبون، قبل أن يدلي بخطابه، أن استقبل عدداً من الأحزاب السياسية، كان أبرزها «جبهة القوى الاشتراكية»، أقدم حزب معارض في الجزائر، والذي ظلّ رافضاً للتحاور مع السلطة في الفترة الأخيرة، بسبب عدم توفُّر الشروط المناسبة لذلك. ودعا هذا الحزب، الرئيس، وفق ما أعلنه في بيانه عقب اللقاء، إلى اتخاذ إجراءات تهدئة أبرزها إطلاق سراح المسجونين. وتبحث الرئاسة عن توسيع دائرة الأحزاب المنخرطة في مسارها الإصلاحي، عبر إقناعها بالمشاركة في الانتخابات، وتجنّب خيار الشارع، لكن مهمّتها في ذلك لن تكون سهلة، بالنظر إلى وجود قطاع من الجزائريين لا يرى بديلاً من مواصلة التظاهر لتحقيق مطلب «التغيير الجذري»، وهو ما كشفت عنه مسيرة مدينة خراطة شرقي البلاد قبل 4 أيام، والتي شهدت مشاركة سياسيين يرفضون تماماً الانخراط في المسار الانتخابي الذي أطلقته السلطة.

كان مطلب حلّ البرلمان الحالي من أهمّ ما دعا إليه الجزائريون في السنتين الأخيرتين (أ ف ب)

تقرير

واشنطن في مواجهة بكين: نحو مراجعة خيار «الحرب التجارية»

على رغم التنافس المُتوقّع احتدامه بين العملاقَين الأميركي والصيني على الموارد الطبيعية، إلا أن ذلك لن يمنع إمكانية التعاون في مجالات أخرى، كالتغيُّر المناخي، فضلاً عن احتمال تراجع واشنطن عن خيار الحرب التجارية التي أضرّت بالاقتصاد الأميركي

لينا كنوش

باتت أولوية المواجهة الاستراتيجية مع الصين محطّ إجماع واسع في الولايات المتحدة، فيما يتّضح أن توجّهات إدارة جو بايدن تجاه بكين تُمثّل، في خطوطها العامة، استمرارية لتلك المعتمَدة من قِبَل إدارة دونالد ترامب. مع ذلك، من المحتمل أن تشهد تمايزاً في الأسلوب، ومقاربة مختلفة للحرب التجارية. خلال مداخلته أمام مجلس الشيوخ، في 19 كانون الثاني/ يناير الماضي، أكد وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أن الصين تُمثّل التحدّي الأستراتيجي الأبرز بالنسبة لبلاده، وأثنى على مواقف الرئيس السابق الحازمة حيالها. لكن واشنطن تريد في الآن نفسه إشراك حلفائها الأوروبيين في «التنافس الاستراتيجي» مع بكين، والشروع في تقييم جدّي لبعض جوانبه. ومن غير المستبعد، على رغم الإبقاء على العقوبات ضدّ الصين، أن تعيد إدارة بايدن النظر في التعرفات الجمركية التي فُرضت على المنتَجات الصينية المصدَّرة إلى الولايات المتحدة.

يشير مارك جوليني، مسؤول ملفّ الصين في مركز آسيا في «المركز الفرنسي للعلاقات الدولية»، إلى أن «فرض تعرفات باهظة على المنتَجات الصينية كان سيفاً ذا حدّين بالنسبة لواشنطن. فقد أثقل هذا الأمر كاهل المستهلكين وبعض المنتجين الأميركيين. هناك الكثير من المنتَجات المصنّعة في الصين من قِبَل شركات أميركية تُعدّ واردات عندما تدخل السوق الأميركي. أدّى ذلك إلى ارتفاع الأسعار في هذا السوق، كما حصل مع منتجي الصوبا الذين أضحوا عاجزين عن بيعها». وإلى جانب احتمال التخلّي عن خيار الحرب التجارية التي أضرّت بالاقتصاد الأميركي، هناك مجالات، كالتغيُّر المناخي، قد تشهد تعاوناً مع بكين. إذ إن «بايدن أعلن بوضوح، منذ اليوم الأول لوصوله إلى منصبه، أنه سيلتزم باتفاقية باريس حول المناخ. صحيح أن هدفه الأول هو تعزيز العلاقات مع الشركاء الأوروبيين، لكننا أمام إمكانية التعاون أو ما يشبه التعاون في هذا الميدان مع الصين»، وفقاً لجوليني.

غير أن التنافس على الموارد الطبيعية بين العملاقَين قد يحتدم، على رغم تبعيّتهما المتبادلة. وفي هذا الإطار، خصّصت «المجلة الاستراتيجية والدولية»، الصادرة عن «معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية»، ملفاً للموضوع المذكور، المحوري في المواجهة الصينية - الأميركية، في عددها الصادر في كانون الأول/ ديسمبر الماضي. تُعدّ واشنطن وبكين أبرز منتجَين ومستهلكَين في السوق العالمية للمواد الأولية، مع 9% للأولى و21% للثانية من إجمالي الواردات.

> **تجد الولايات المتحدة صعوبة في صدّ نفوذ الصين في آسيا الوسطى وأفريقيا وأميركا اللاتينية**

لكن البلدين يتمتّعان بميزات تفاضلية مختلفة. فواشنطن، من جهتها، هي المنتج الأول للنفط والغاز، وتتفوّق في قطاع الطاقة، بينما تزايدت تبعية بكين في ذلك المضمار في العقد الأخير. لكن الصين لديها ميزة تفاضلية لا يمكن إنكارها في مجال المواد الأولية الصناعية، خاصة بالنسبة إلى المعادن الاستراتيجية الضرورية لتكنولوجيات المستقبل ولعملية الانتقال إلى صناعات تحدّ من انبعاثات الكربون. بكين، بحسب الخبراء، تسيطر على حوالى 50% من الإنتاج العالمي للكوبالت، ونحو 60% من مخزون الليثيوم. وهي تتقدّم على الولايات المتحدة، التي تنمو تبعيتها بأطراد بالنسبة للكوبالت والجرمانيوم. هناك، إذاً، تبعية متبادلة بين الدولتين في ميدان المواد الأولية، يفترض أن تُشجّع على التعاون ودرجة معيّنة من التكامل. لكن واشنطن لا تتبنّى مثل هذه المقاربة برأي مارك جوليني:

> **تجاوزت بكين تبعيتها البنيوية في مجالَي الطاقة والغذاء، عبر الانفتاح على الخارج (أ ف ب)**

«هناك مواد أولية تُعتبر حيوية بالنسبة لبعض الصناعات، وعدم الحصول عليها ستكون له تداعيات استراتيجية خطيرة على التنافس المتصاعد الصيني - الأميركي. واشنطن تسعى قدر الإمكان لحرمان بكين منها نظراً لأهميّتها في المجال التكنولوجي، حيث يحتدم هذا التنافس».

غير أن الولايات المتحدة تجد صعوبة كبيرة في صدّ نفوذ الصين المتّسع باستمرار في آسيا الوسطى وأفريقيا وأميركا اللاتينية. وقد اتّضح أن مشروع طريق الحرير وفّر فرصة استثنائية لتزويد الصين بالمواد الأولية رخماً عن واشنطن. وبينما قاد استقلال الأخيرة في مجال الطاقة إلى نوع من الانطواء على الذات، فإن بكين تجاوزت تبعيتها البنيوية في مجالَي الطاقة والغذاء، عبر الانفتاح على الخارج. فمشروع «الحزام والطريق»، الذي وصفه بعض المحلّلين باعتباره «حصان طروادة في قلب مناطق نفوذ أميركي حصري تقليدياً»، أتاح لبكين تنويع مصادر وارداتها وضاعف من انتشار نفوذها. لكن النجاح الكامل لهذا المشروع ما زال قيد النقاش. فبعض البلدان لم تعد لديها القدرة على تسديد ديونها للصين، وهذه المديونية، وما يترتب عليها من مفاعيل بالنسبة للبلدان التي تعاني منها، تُحدّ من جاذبية بكين. «من المؤكد أن النفوذ الصيني يتّسع بفضل طرق الحرير، عبر القروض التي تُقدّمها بكين وكذلك استثماراتها في البنى التحتية في بلدان كثيرة. ولكن، بينما كان الحديث في 2013 عن مئات مليارات الدولارات المُخصّصة للاستثمار، لحظنا تباطؤاً وتراجعاً فعلياً للاستثمارات منذ 2017. وستكون لجائحة كورونا، بلا ريب، انعكاسات سلبية على قدرة الصين على الاستثمار في الخارج، وصورتها في بلدان عديدة لم تتحسّن حتى الآن»، يختم جوليني.

الولايات المتحدة

الجمهوريون يتحضّرون لمعركة قانون الهجرة

قدّم الديموقراطيون، أول من أمس، إلى الكونغرس الأميركي، مشروع قانون طموح لإصلاح نظام الهجرة يدعم من الرئيس جو بايدن، مع اعترافهم بضرورة التغلّب على المقاومة الشديدة من أجل إقراره. ودافع السيناتور عن ولاية نيوجيرسي، بوب مينينديز، أحد الراعين لمشروع القانون الذي يُمهّد الطريق لتجنيس حوالى 11 مليون مهاجر، بما يلي: «إنهم عمّال أساسيون، لدرجة أن اقتصادنا لا يعمل من دونهم. ومع ذلك، فهم يعيشون في خوف دائم»، من أن تكتشف وجودهم خدمات الهجرة. وقال مينينديز مُقدّماً النص إلى جانب برلمانيين آخرين، خلال مؤتمر عُقد عبر الفيديو: «حان الوقت لإخراج 11 مليون مهاجر غير شرعي من الظل».

إلا أن العائق الأول الذي يقف في وجه الديموقراطيين في هذا الإطار، هو حالتهم كغالبية ضئيلة في مجلس النواب، ووجودهم المتكافئ مع الجمهوريين في مجلس الشيوخ، مع 50 مقعداً لكل من الحزبين. وعلى رغم أن الدستور يمنح نائبة الرئيس، كامالا هاريس، حقّ التدخّل لاتخاذ القرار النهائي، في حال تعادُل الأصوات في مجلس الشيوخ، إلا أن مشروع قانون الهجرة سيحتاج إلى ستّين صوتاً لإقراره في هذا المجلس، الأمر الذي يُشكّل تحدّياً صعباً جدّاً حتى الآن، نظراً إلى معارضة الجمهوريين والديموقراطيين المعتدلين أيضاً. وفي هذا السياق، اعترف مينينديز بـ«(أننا) نعلم أنه من أجل المضيّ قُدُماً، سيكون التفاوض ضرورياً».

ويفتح مشروع القانون طريق الحصول على المواطنة الأميركية لنحو 11 مليون شخص في وضع غير قانوني، يمكنهم إثبات وجودهم في الولايات المتحدة مطلع كانون الأول/ يناير 2021. وسيستفيد من هذا الإصلاح، أيضاً، مَن يُطلَق عليهم اسم «الحالمون»، وهم نحو 700 ألف شاب دخلوا الولايات المتحدة بشكل غير قانوني خلال طفولتهم وهم موجودون على أراضيها منذ. وكان بايدن قد أرسل اقتراحه ذاك إلى الكونغرس منذ اليوم الأول لتسلّمه منصبه في 20 كانون الثاني/ يناير. وهو أشاد، أول من أمس، بعرضه أمام مجلسَي الشيوخ والنواب، قائلاً إنه يمثّل «خطوة أولى مهمّة»، مضيفاً،

> **أشارت بيلوسي إلى الصعوبات التي تواجه إقرار هذا الإصلاح الواسع النطاق**

في بيان: «أتطلّع إلى العمل مع رئيسَي مجلسَي النواب والشيوخ لتصحيح أخطاء الإدارة السابقة» لدونالد ترامب، و«إعادة العدالة والإنسانية والنظام إلى نظام الهجرة لدينا».

وينصّ مشروع القانون على إمكان حصول «الحالمين» على الجنسية الأميركية في غضون ثلاث سنوات، وكذلك الحاصلين على وضع «حماية مؤقّتة» يحول دون ترحيل مواطني الدول التي تعاني من كوارث طبيعية أو نزاعات، إضافة إلى بعض عمّال المزارع؛ أمّا جميع «المهاجرين الآخرين غير المسجّلين الذين يدفعون ضرائبهم وليس لديهم سجل إجرامي»، ففي غضون ثمانية أعوام، إلّا أن هذا النص «لا يملك أيّ فرصة» ليتمّ إقراره، وفقاً للنائب الجمهوري جيم جوردان، لأنه «يكافئ الذين يخالفون القانون، ويُغرق سوق العمل في وقت يعاني فيه ملايين الأميركيين من البطالة، ولا يقدّم شيئاً من أجل تشديد التدابير الأمنية على الحدود، ويشجّع أكثر على الهجرة غير الشرعية».

وفي انتظار خوض هذه المعركة في مجلسَي الكونغرس، جاء هذا القانون ليستكمل المسار الذي تبنّته إدارة بايدن منذ يومها الأول، والذي يحمل توجّهاً معاكساً لإجراءات الهجرة المثيرة للجدل في عهد الرئيس السابق. فقد ألغى الرئيس الديموقراطي المرسوم الذي يحظر دخول مواطني دول ذات غالبية مسلمة (إيران وليبيا والصومال وسوريا واليمن) إلى الولايات المتحدة. كما سيضع حدّاً لسياسة الهجرة المثيرة للجدل التي اعتمدها ترامب، وتتمّ بمقتضاها إعادة طالبي اللجوء أثناء النظر في ملفّاتهم. وقد تعرّضت تلك السياسة لانتقادات من منظّمات حقوقية، فيما طالت 70 ألف طالب لجوء على الأقلّ يتحدّرون من أميركا الوسطى جرت إعادتهم إلى المكسيك، ما ولّد أزمة إنسانية.

(الأخبار، أ ف ب)

وفيات

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 2/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد مطبوعات
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة والحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى المستشفى
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 3/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد أقمشة وبياضات
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة والحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 4/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد مازوت أخضر على أساس التنزيل المئوي من الأسعار الرسمية الصادرة عن وزارة الطاقة لحساب مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي - عكار
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة والحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

نقابة المستشفيات في لبنان تنعى بمزيد من الأسى واللوعة
السيّد رياض عبد المطلب مرؤة
عميد ورئيس مجلس إدارة مستشفى جبل عامل، وتتقدّم من عائلته وأسرة المستشفى بأحرّ التعازي.

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

إعلانات رسمية

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 1/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد نفقات التغذية (سمانة – البان – أجبان – لحمة – دجاج) لحساب مستشفى الدكتور عبدالله الراسي الحكومي – عكار
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة والحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 10/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد المستلزمات الطبية
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى المستشفى
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 11/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد أدوية
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 9/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد لوازم استهلاكية إدارية
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 8/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم صيانة مكيفات
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 6/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة الثانية للمرة الثانية:
الموضوع: لتلزيم وتوريد قرطاسية
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 7/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة الثانية للمرة الثانية:
الموضوع: لتلزيم وتوريد المستلزمات المخبرية
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

إعلان عن مناقصة
رقم المناقصة: 5/2021
تاريخ: 2021/02/16
تُعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي عن طرح المناقصة:
الموضوع: لتلزيم وتوريد المستلزمات الطبية لزوم عمليات العظم على أساس التنزيل المئوي من اللائحة المعتمدة من تعاونية موظفي الدولة لحساب مستشفى د.عبدالله الراسي الحكومي - عكار
يتوجب على الموردين الراغبين بالإشتراك بالمناقصة الحصول على دفتر الشروط وتسجيل طلباتهم لدى أمانة سر الإدارة.
السيدة: راميا يحي
المكان: مبنى مستشفى د. عبدالله الراسي الحكومي
آخر مهلة لتسليم العروض الأربعاء 2021/3/3 الساعة 12 ظهراً وتاريخ فتح العروض: الخميس 2021/3/4

استراحة

كلمات متقاطعة 3673

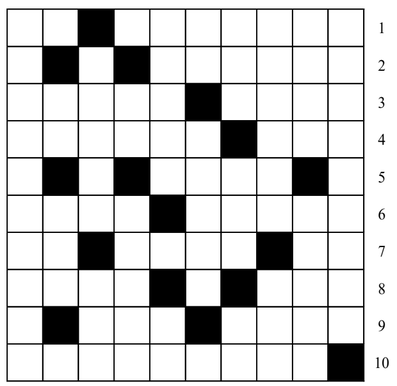

أفقيا
1- شاعر عباسي – وثيقة بملكية عقار – 2- بحيرة روسية – 3- شيخ ضعيف – مطار إنكليزي – 4- ساند المرشح في الإنتخابات – بطل الأسفار والمغامرات في قصص ألف ليلة وليلة – 5- محبة وألفة – 6- بحيرة شاطئية في رومانيا على البحر الأسود – مسرحية للأخوين رحباني – 7- ورك – صوت البقر – حلب الناقة وترك في الضرع بعض اللبن – 8- طائرة حربية – صفة من كان من سكان القبائل – 9- يجمع الزيتون – نفس – 10- الثبات والدوام والرسوخ

عمودياً
3- شاعر عباسي – 2- جزيرة أندونيسية – أقدم مدينة فلسطينية مسوّرة في العالم – 3- شبابيك بالأجنبية – حيوان خرافي – 4- تتعب – إمتلأ الإناء حتى بفيض – هر بالأجنبية – 5- إسم موصول – أرخبيل بركاني من جزر بولينيزيا – 6- دولة آسيوية – خنزير برّي – 7- من أعضاء الجسم – إجاص برّي صغير – 8- تاكيد – متسع من الأرض مغمور بالمياه – 9- جرذ بالأجنبية – من مواد البناء – 10- عارضة أزياء وممثلة ألمانية شهيرة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- كونغورو – فو – 2- اوديسا – قرد – 3- مرادهم – 4- يم – هدَوا – شُح – 5- فخامة – رصاص – 6- واصا – الحرب – 7- ربّك – الم – عرّ – 8- نزّ – خلع – 9- الفاريس – 10- استون مارتن

عمودياً
1- كاليفورنيا – 2- و و – مخابز – 3- ندم – أصك – آت – 4- غيّرهما – خلو – 5- وسادة – الفن – 6- رادو – العام – 7- هارلم – را – 8- قم – صح – خير – 9- فر – شارع – ست – 10- وديع صبرا

sudoku 3673

	7					1	
1			6	9	8		7
4					3		5
	2		3	6		8	
	1	9		4		7	2
	5			7	1		9
9		2					8
3			5	2	4		6
	4					3	

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3672

9	2	6	1	5	7	8	3	4
5	1	7	3	8	4	2	6	9
3	8	4	6	2	9	5	7	1
2	7	8	9	6	1	3	4	5
4	3	1	5	7	2	9	8	6
6	9	5	4	3	8	7	1	2
1	5	3	8	9	6	4	2	7
7	6	9	2	4	3	1	5	8
8	4	2	7	1	5	6	9	3

مشاهير 3673

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديب وشاعر لبناني من رواد الطباعة في لبنان (1840-1895). عهد اليه داود باشا المتصرف تنظيم مطبعة حكومية. له ديوان شعري عنوانه «أنيس الجليس»

4+6+1+4+3+2+9 = حكيم وعالم ■ 11+10+5+8 = عطاء ■ 6+7+9 = خيبة

حل الشبكة الماضية: **غرازيلا سيف**

إعداد نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 شباط 2021 العدد 4276

صورة وخبر

لغاية 27 شباط (فبراير) الحالي، يواصل معرض For Those Gathered in the Wind للفنان الأميركي تي. إليوت مانسا استقبال الزوّار في غاليري LnS في ميامي. المعرض المستوحى من حركة «حياة السود مهمّة»، عبارة عن حوار متعدّد المستويات حول الحداد الأسود والحزن، ردّاً على العنصرية ودورة لا تنتهي من موت ذوي الأصول الأفريقية في الولايات المتحدة. جمع مانسا أغراضاً تم العثور عليها في الشوارع، بما في ذلك الألعاب والأحذية والزهور البلاستيكية وعربات الأطفال، وحوّلها إلى عمل فني لا يحاكي حدثاً آنياً بل قصّة ظلم اجتماعي عمره عقود. (شاندان كانا ــ أف ب)

كامل مهنا... الصحة بين الحرب والجائحة

صدر عن «دار الفارابي»، أخيراً، كتاب جديد لكامل مهنا (الصورة)، رئيس «مؤسسة عامل الدولية» والمنسّق العام لتجمع الهيئات الأهلية التطوعية في لبنان ومنسّق عام تجمع المنظمات الأهلية العربية والخبير في منظمة الصحة العالمية. في «الصحة من نيران الحرب إلى تداعيات الجائحة، مؤسسة عامل والقطاع المدني يمنعان تفكك المجتمع اللبناني»، يقدّم مهنا تجربته وتجربة مؤسّسته وهيئات المجتمع المدني في ميدان الصحة في لبنان، إلى جانب الإجراءات الرسمية، مستعرضاً الإشكالات التي يواجهها المجتمع لناحية صحة أبنائه، وطارحاً وجهة نظره في الحلول الممكنة، بالاعتماد على مقاربات الواقع الصحي العالمي والمحليّ، من دون أن ينسى مخاطر فيروس كورونا والأزمات والخسائر التي تسبّب فيها على مستويات عديدة.

فرقة «أدونيس»: «أعداء» على مراحل

على ثلاث مراحل، كشفت فرقة «أدونيس» اللبنانية (الصورة)، عن ألبومها الخامس «أعداء»، آخرها في 18 شباط (فبراير) الحالي. بالإضافة إلى تلك التي تحمل عنوان الألبوم (الفيديو كليب من إخراج عمر خوري وإشراف نديم حبيقة)، يتضمّن العمل تسع أغنيات، من بينها: «من أجمل ما» و«الآتي أعظم» و«فرصة على ميّة» و«منّو إنت» و«الطابق الرابع» و«جيت كرمالك» و«لا ما بدّي». الألبوم الجديد من توزيع سليمان دميان، وكُتب وسُجّل بين شهرَي آب (أغسطس) وتشرين الثاني (نوفمبر) 2020 في البترون (شمال لبنان) التي لجأت إليها الفرقة بعد تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب. علماً بأنّ «أدونيس» تتألّف من الفنانين: أنطوني خوري، جوي أبو جودة، جيو فيقاني ونيكولا حكيم.

Cowspiracy على النت: الزراعة الحيوانية وأزمة المناخ

في سياق أنشطتها الافتراضية، تدعو حركة Animal Rebellion في أيرلندا، يوم الثلاثاء المقبل، إلى مشاهدة وثائقي Cowspiracy: The Sustainability Secret (إخراج كيب أندرسون وكيغان كوهن ـ 90 د) الصادر في عام 2014، قبل مناقشته عبر تطبيق «زوم». في هذا الشريط الحاصل على جوائز عديدة، يتابع المشاهد رحلة مروّعة، لكن مرِحة، لرجل مهتم بالبيئة وطموح يسعى بجرأة لإيجاد الحل الحقيقي للمشاكل البيئية الأكثر إلحاحاً والمسار الحقيقي للاستدامة، كاشفاً عن أسرار تُبذَل جهودٌ حثيثة لإخفائها. يستكشف الفيلم تأثير الزراعة الحيوانية على البيئة، ويبحث في سياسات بعض المنظمات البيئية بشأن هذه المسألة، متناولاً العديد من المواضيع المهمّة، بما في ذلك الاحتباس الحراري، واستخدام المياه، وإزالة الغابات والمناطق الميتة في المحيطات. كما يقترح أنّ الزراعة الحيوانية هي المصدر الأساسي لتدمير البيئة، علماً بأنّ Animal Rebellion تعمل على حماية المناخ والحيوانات والرفق بها، وتهدف إلى استخدام العصيان المدني اللاعنفي لإرغام الحكومة على اتخاذ إجراءات في سبيل تحقيق نظام غذائي نباتي.

*عرض فيلم Cowspiracy: The Sustainability Secret: الثلاثاء 23 شباط (فبراير) الحالي ـ الساعة الثامنة والربع مساءً بتوقيت بيروت ـ رابط المشاهدة متوافر على موقعنا.

التصميم العربي الحديث متأثراً بالخط الإسلامي؟

تحت عنوان «من فن الخط الإسلامي إلى التصميم العربي الحديث»، ينظّم قسم الحضارات العربية والإسلامية في «الجامعة الأميركية في القاهرة»، في 2 آذار (مارس) المقبل، جلسة حوارية افتراضية مع الأكاديمية بهية شهاب والأكاديمي والفنان هيثم نوّار، تديرها الأستاذة المساعدة للفن والعمارة الإسلامية في الـ AUC نهى أبو خطوة. أصدر شهاب ونوّار، أخيراً، كتاب A History of Arab Graphic Design الذي يتتبّع أعمال أكثر من 80 مصمماً من كل العالم العربي. في اللقاء المرتقب، سيناقش الثنائي تطوّر التصميم الغرافيكي العربي مع التركيز على تأثيرات فن الخط الإسلامي التقليدي على ذلك.

*الثلاثاء 2 آذار ـ الساعة السابعة مساءً بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا)

الأخبار
al-akhbar

السبت 20 شباط 2021
العدد 4276 السنة الخامسة عشرة
Samedi 20 Fevrier 2021 nº 4276 15ème année

كلمات
ملحق أسبوعي
www.al-akhbar.com

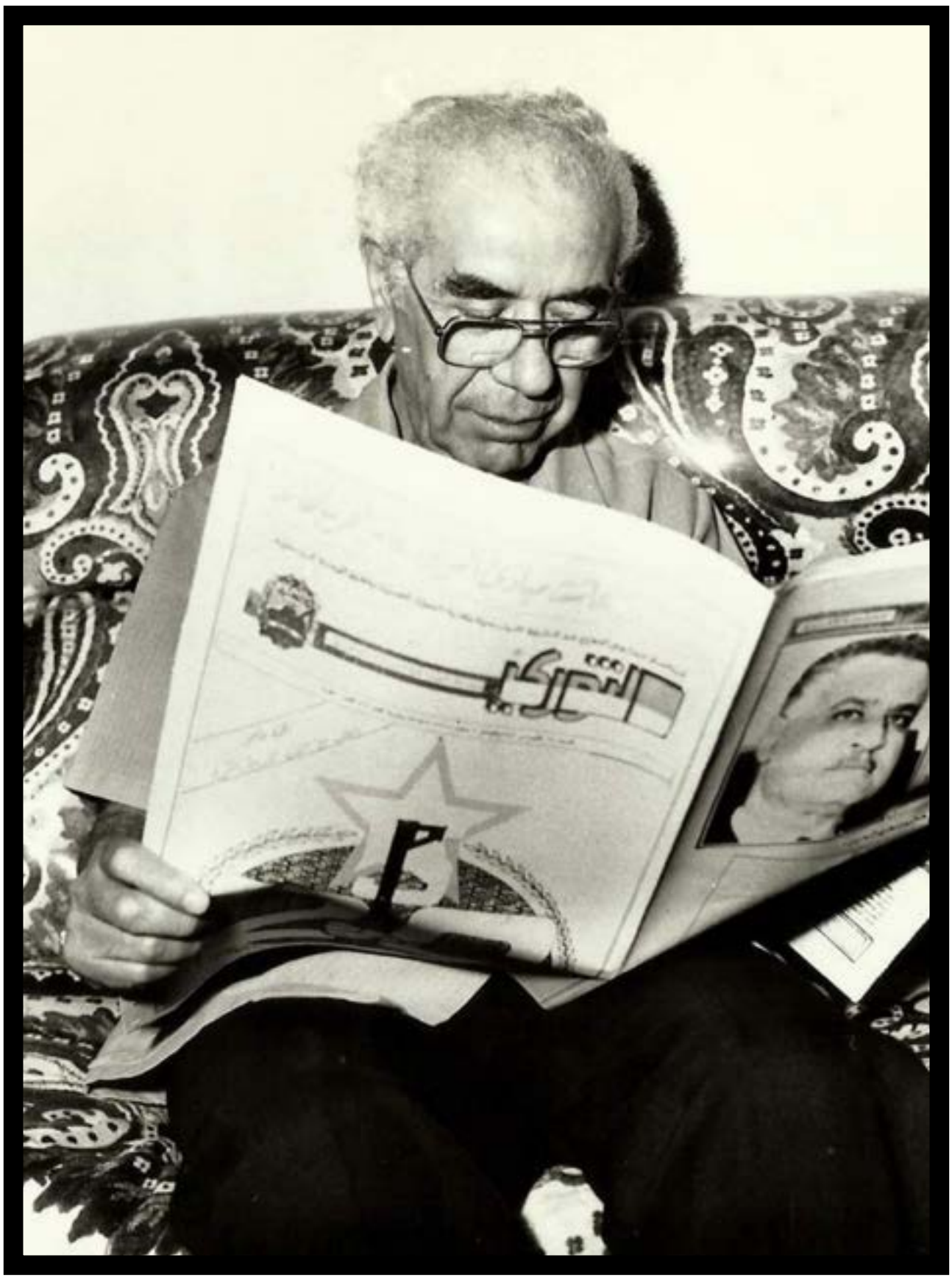

حسين مروة العامليّ الأحمر

محمد ناصر الدين

«باتت أسئلتي باعثة على التشكيك في ديني. ولم يعدم المشككون سنداً لذلك في أفكاري غير المألوفة وسلوكي. جملة أفكار من بينها الاتجاه السياسي الوطني، ورفض الكهنوت في الإسلام باعتباره طارئاً عليه، فلا حاجة إلى طبقة يتلقى منها الناس دينهم ويَعتبر أفرادها أنفسَهم أوصياء قيّمين على أفكار الناس وسلوكهم. والتشيّع لا قِبَلَ له بهذا. يضاف إلى هذه الأفكار مطالعة شبلي الشميّل وإسماعيل مظهر ذوي الاتجاه المادي، ومجاهرتي بهذه القراءة وطرحي انطلاقاً منها أسئلة تتناول مجمل الفكر الديني. أما اختلاف سلوكي، فكان ظاهراً في احتذائي مداساً أبيض في الصيف والعادة أن يكون أصفر، وفي عنايتي بقماش القنباز ونظافته وخياطته. وذلك كان موضع استهجان»

حسين مروة (1910-1987) الذي مرّت ذكرى رحيله في 17 شباط (فبراير)، ولد شيخاً ومات طِفلاً: من العِمّة المعطّرة بالطيون العاملي، والجبّة الموشّحة بهديل الحمام في الصحن النجفي، الى الانتظام في الحزب الشيوعي وحركة «أنصار السلم» والتشارك مع محمد دكروب في تحرير مجلة «الثقافة الوطنية» التقدمية عام 1951 بإشراف فرج الحلو؛ من الأقصى إلى الأقصى على فالق زلازل صراع الأفكار، وهو في ذلك كلّه لم يخرج من عامليته ونجفيته، حتى حين اخترقت جسده عام 1987 تلك الرصاصات الغادرة ليهوي فوق كتابه المرجع «النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية»... الكتاب الذي استخلص «أبو نزار» نواته من مقالات عن شخصيات تراثية فكرية وأدبية في الخمسينيات من القرن الماضي، ومن صلته بالتراث التي تطورت بعد تمكّنه من المنهج الماركسي، ليغني المكتبة العربية بسِفر ضخم يمثّل إحدى المحاولات القليلة للتخصص في كتابة مادّية واسعة ومعمّقة للتراث الفكري العربي والفلسفة العربية الاسلامية.

ترك حسين مروة مجموعة هائلة من الأبحاث والدراسات والمقالات في «الآداب» و«النداء» و«الثقافة الوطنية» والعشرات من المجلات والصحف العربية، اجتهد رفيقه الراحل محمد دكروب في نشرها في كتاب تحت عنوان «دراسات في الفكر والأدب» (الفارابي، 1993). لم يترك حسين مروة لوناً من ألوان الأدب العربي الحديث إلا وأعمل فيه نظراً ونقداً وتمحيصاً في تفاعل مرن مع كل المدارس النقدية الحديثة، ومستضيئاً بمنهجه الماركسي الواقعي الذي لا يرى بنية العمل الفني وعلاقاته الداخلية معزولة عن شبكة العلاقات في البنية الاجتماعية الأوسع.

من حدّاثا العاملية، خرج الفتى الذي تتلمذ في فتوّته على يد الشيخ علي شرارة والسيد حسن محمود الأمين، ليدخل بعدها مدرسة النبطية التي قدمه مديرها الى السيد محسن الأمين، وليمّم النجف في السادسة عشرة. طاف مروة في حلقات الدرس النجفية الحوزوية، وبدأت الشبهات تحوم حول الفتى المهتم بقراءة الأدب في مجلات «الهلال» و«المقتطف» و«الرسالة» و«الثقافة». وصل مروة الى الحلقة الأخيرة من أصول الفقه، ليُفصل للمرة الأولى من المكتبة الدينية التي عمل فيها في مدينة العمارة بتهمة «نشر الزندقة والإلحاد بين الطلاب». يعود صاحب «عناوين جديدة لوجوه قديمة» لفترة صغيرة الى بيروت ويعمل مدرّساً في المدرسة العاملية، ثم يعود الى العراق مضمراً قراراً حاسماً بمتابعة العلم إلى نهايته مع عدم الانخراط في السلك الديني. بعد عودته إلى بغداد، حظي مروة بصداقات بين المثقفين واليساريين، وبدأ تحوله إلى الماركسية لدى قراءة «البيان الشيوعي» لماركس وأنجلز و«الدولة والثورة» للينين، وانخراطه في الانتفاضة التي عرفت بالوثبة الوطنية الكبرى عام 1948. أُبعد حسين مروة من العراق بعدما حرمته السلطات من هويته العراقية، إثر كبح الانتفاضة، وبعدما فقد أوراقه الثبوتية اللبنانية، ليستدعيه كامل مروة للعمل في «الحياة» ويواظب على كتابة زاويته فيها سبع سنوات، ويترك العمل فيها عام 1957 غداة مقتل نسيب المتني.

سمّي مروة عضواً للّجنة المركزية للحزب الشيوعي عام 1968، وانتخب في المؤتمرات اللاحقة، ليقتصر عمله على صياغة البرنامج التثقيفي الحزبي من دون انخراط في العمل التنظيمي. يستذكر مروة قصة حدثت في النجف عن أستاذه بعدما نشر خواطره على شكل قطعة أدبية في جريدة: «استقبلنا بوجه بارد، ولم يترك لنا وقتاً للمسامرة وبدا مُغضبَاً، وأخذ يعظنا متجهماً عابساً. وحرنا في السبب بادئ الأمر، إلى أن تبيناه بعد ذلك. إذ رأينا القطعة منشورة في الجريدة، وتناهى لنا أن الشخص الذي حثّني على نشر القطعة عمد بسوء نية إلى شراء أعداد كثيرة وتوزيعها على أساتذتي على سبيل الوشاية. كان سيّئ الطوية، لكن كان له فضل أن أطلقني للكتابة وأنني صرت كاتباً»: إنها الكلمة وحدُها، بوجه التعصب والوشاية والطلقة التي هوت في سنين الحرب المظلمة تلك على جسد الشيخ لتشدّه إلى الموت، والطفل الذي يخرج من طيون الجنوب وحَمام النجف مشدوداً إلى الحياة، مشدوداً إلى قلمِه.

فكر

العالم في طور الرجوع إلى العصر الوسيط بلا فرسانه

جويل كوتكين... من مدن الملح إلى مدن الإقطاع المعَولم

إذا كنا قد شهدنا توسّعاً أكبر في الثروة والفرص في الماضي، فإنّ العالم اليوم في طور العودة إلى حقبة أكثر إقطاعية، تتسم بتركّز الثروة والملكية في يد محددة، والركود الديموغرافي، والدوغمائية المتزايدة. وإذا كانت السنوات السبعون الأخيرة شهدت توسّعاً كبيراً للطبقة الوسطى في بقاع عدة من العالم المتقدّم، فإنّ هذه الطبقة في طور الانحدار اليوم، في مقابل صعود مجتمع أكثر هرميةً. تشبه البنية الطبقية الجديدة تلك العائدة إلى العصور الوسطى: طبقتان على قمة النظام الجديد: طبقة الكهنة الجُدد الذين يهيمنون على رأس السلّم المهني، ووسائل الإعلام والثقافة، وارستقراطية جديدة يقودها الاوليغارشيون التكنولوجيون ذوو الثروة الطائلة والسيطرة المتزايدة على المعلومات. هذا مختصر كتاب جويل كوتكين الباحث في الاتجاهات الديموغرافية والاقتصادية. The Coming of Neo-Feudalism: A Warning to the Global Middle Class (انكوانتر بوكس ـ 2020)، يشير إلى أنّ العالم في طور الرجوع إلى العصر الوسيط. لكن بوضع جغرافي مُختلف: نحن أمام نُبلاء جدد. لكن باسم مُعدّل هو «روّاد الأعمال»

مصطفى شلش

يُعلن قادة الشرق الأوسط الجدد عن سياسات «إعادة تحديث» المجتمعات العربية، في ظل ظروف سياسية تلت مرحلة «ما بعد الربيع العربي»، مستفيدين من تعثّر الثورات واستنفاد البُنى الخطاب الديني الأصولي وفشله في تقديم أي بدائل منطقية للحكم، وصعود نجم اليمين المتطرف في مراكز صنع القرار الدولي في كل من أوروبا وأميركا.

ويبدو أن بلدان الشرق الأوسط، الغني منها والفقير، وجدت ضالّتها في فكر مايكل بلومبيرغ، عمدة نيويورك السابق. فكر يُمكن اختصاره في مفهوم واحد هو «المدينة الخضمة»، أي نموذج حضاري معماري، مُضافٌ إليه خطاب «أصولي» يقدم الفردانية والشوفينية القومية في ثوب جديد مدجّج بوعود التقدم التكنولوجي والرفاه.

من مُدن الملح، التي تقوم وترتفع وتكبر، إلى مُدن خالية من الكربون، مُحصّنة بأسوار عالية تحميها أحدث وسائل الأمن، بقيت قاعدة عامة لم تتغير، هي أن ارتفاع الجدران الواقية، وزيادة الحراسات المشددة، والارتفاع في البنيان، دليل على تدهور الثقافة الحضرية، وإعلان بقرب انهيار الإمبراطورية القائمة، وعودة روح المدينة الإقطاعية الجديدة.

يشير البروفيسور وعالم الجغرافيا جويل كوتكين، والباحث في الاتجاهات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية في كتابه الجديد The Coming of Neo-Feudalism: A Warning to the Global Middle Class (انكوانتر بوكس ـ 2020) إلى أن العالم في طور الرجوع إلى العصر الوسيط، لكن بوضع جغرافي مُختلف. نحن أمام نُبلاء جدد، ولكن باسم مُعدّل هو «رؤاد الأعمال». نحن على موعد مع إقطاع جديد لكن بلا فرسان جريئين، بلا دروع، أو قلاع محصّنة، أو كاتدرائيات شاهقة مليئة بالترانيم اللتورجية. بدلاً من ذلك، سنجد إقطاعاً يتباهى بتكنولوجيا جديدة مبهرة، محمية في عقيدة العولمة والتقوى البيئية. مع ذلك، وعلى الرغم من كل ما بعد حداثة هذا الإقطاع، يبدو أن العصر القادم سيحل مكان الديناميكية الليبرالية والبيارسية التقدمية والتعددية الفكرية، نوعاً من أرثوذكسية تقبل الركود والتسلسل الهرمي الاجتماعي باعتباره النظام الطبيعي للأشياء.

■ تشكيل المجتمع الجديد

جميع الأنظمة البشرية، من القرية البدائية إلى الإقطاع في العصور الوسطى إلى الديمقراطية الليبرالية، لا تتشكّل فقط من خلال الأفكار ولكن أيضاً من خلال التحكم بالبيئة المادية والموارد. تعتمد الأنظمة الديمقراطية، إلى حد ما، على الاعتراف بحقوق الملكية الفردية ورعايتها، فغالبية المجتمعات الديمقراطية أو الجمهورية في التاريخ (أثينا، روما، هولندا، بريطانيا، فرنسا، أميركا الشمالية، وأوقيانوسيا...) قد أقيمت واستمرت بملكية واسعة، وهي ملكية الطبقة الوسطى.

ولطالما روّج سياسيو اليمين واليسار في معظم البلدان ذات الدخل المرتفع، المثل الأعلى المتمثّل في ملكية فردية على نطاق واسع. قال الرئيس فرانكلين روزفلت: «أمة من أصحاب المنازل، من الأشخاص الذين يمتلكون حصة حقيقية في أراضيهم، لا يُمكن قهرها». لقد رأى أن ملكية المنازل أمر بالغ الأهمية ليس فقط للاقتصاد، ولكن للديمقراطية وفكرة الحكم الذاتي.

اليوم، يجري العكس كما يشير كوتكين، في ما يتعلق بملكية الأراضي في الولايات المتحدة وفي جميع أنحاء العالم. يتم دفع المزيد والمزيد من الناس للعيش في شقق أو منازل مستأجرة، مع فرصة ضئيلة للحصول على الاستقلال المالي. هذا الاتجاه ليس مجرد نتاج لقوى السوق. تم الترويج للمساكن المستأجرة - سواء كانت شققاً أو منازل عائلية - بشكل كبير من قبل الكثير من الأوليغارشية، وأكثر من ذلك من قبل مديري التخطيط من رجال التكنوقراط/ رجال الدين الجُدد، ومصادرة أراضي الأفراد لإنشاء مُدن مسوّرة وعملاقة.

وفي مواجهة هذه التحديات الاجتماعية، تسعى الطبقات الفكرية في البلدان ذات الدخل المرتفع - في الجامعات، ووسائل الإعلام، وأهل الفنون - بشكل شبه عالمي إلى تفكيك القيم التي وجّهت صعود بلدانهم، ووفّرت الأساس لازدهار واسع النطاق. بدلاً من الاهتمام بأنفسهم بمعالجة عواقب الركود الاقتصادي - المزيد من الفقر، والعجز الاجتماعي، والصراع الطبقي - يروّج العديد من هؤلاء الكهنة الجُدد، إلى جانب الأوليغارشية، لمصطلحات مثل «الاستدامة» على النمو الذي يُبقي الوضع على ما هو عليه. تماماً كما دعا رجال الدين في العصور الوسطى ضد المادية. إن الشخصيات البارزة في الأوساط الأكاديمية ووسائل الإعلام اليوم، وحتى البعض من نخب الشركات، ينظرون بارتياب إلى فكرة الاقتصاد الديناميكي، وروح الابتكار، والالتزام بتحسين الحياة اليومية. حتى إنّ بعضهم يقترح بأنّ التقدم هو أسطورة.

وبهذه الطريقة، يُعزز الكهنة الجُدد الفكرة التشاؤمية القائلة بأن الترقي الطبقي هو من مخلّفات الماضي،

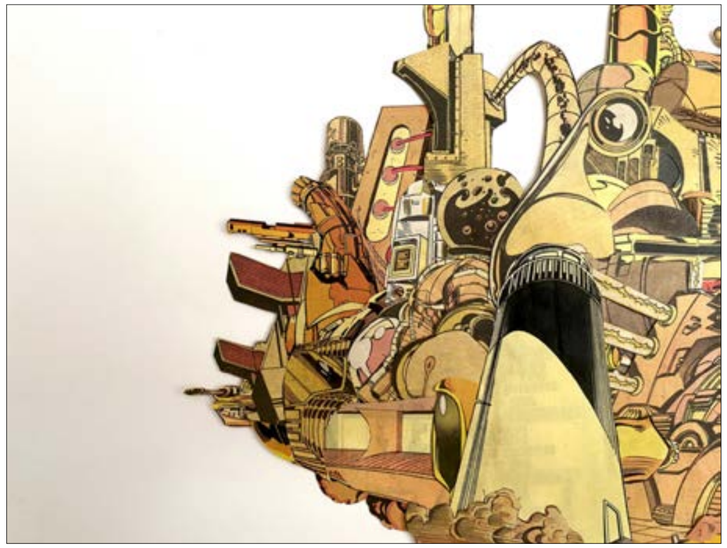

مورغان جيسي
لايات ـ ميغا سيتي (2017 - على ورق)

> **الجدران الواقية والحراسات المشددة والبنيان الشاهق، دليل على عودة روح المدينة الإقطاعية الجديدة**
>
> **بدل الديناميكية الليبرالية واليسارية التقدمية والتعددية الفكرية، ستحلّ ارثوذكسية تقبل التسلسل الهرمي الاجتماعي**

وأن مهامّنا الأساسية الآن حماية البيئة، بدلاً من البحث عن طرق لتوزيع عادل للثروة وإتاحة الفرص.

■ التسلسل الهرمي الحضري

أدّى نمو المدن من العصور الوسطى المتأخرة إلى العصر الحديث، إلى توفير الأرضية لتطوير طبقة وسطى مزدهرة. عندما ولّدت الثورة الصناعية مظالم جديدة صارخة، أدى الضغط من النقابات العمالية والإصلاحيين من الطبقة الوسطى إلى تحسينات حضرية، في أنظمة الصرف الصحي والنقل، وإنشاء الحدائق العامة على سبيل المثال.

العالم الحضري اليوم بطبقته المتوسطة الآخذة في الانكماش هو خروج عن المثل الأعلى للمدينة كمحرّك للحركة الصاعدة، وهو رمز للحقبة الرأسمالية الصناعية. وغالباً ما لا يستطيع بعض الأشخاص الذين يديرون المدينة - مثل المُعلمين ورجال الإطفاء وضباط الشرطة - تحمّل تكاليف العيش هناك. الأمر نفسه بالنسبة إلى العديد من العمّال المهرة ـ الفنيين وعمال البناء والميكانيكيين - الذين تقلّ رواتبهم في المدن ذات تكاليف الحياة المرتفعة. ويجد العديد من الأشخاص العاملين في هذه المهن المُهمة، أن تكلفة المعيشة الكريمة في مدينة كبيرة أصعب من أن توفره مجرد زيادة عابرة في الأجر.

يشير كوتكين إلى أنه منذ العصور القديمة، قدّمت المدن فرصة للجماهير لتحقيق الازدهار. رعت روما الطبقات الوسطى الطموحة التي وجدت في المدينة بيئة مثالية لتحسين حالتها. لكنّ الأعداد الكبيرة من العبيد الذين تم جلبهم مع نمو الإمبراطورية، أدّت إلى نزوح العديد من المزارعين والحرفيين الذين يتمتعون بالاكتفاء الذاتي، فقد قال جوفينال إن أفضل نصيحة للرومان هي الهجرة من المدينة الخالدة.

تدهورت الثقافة الحضرية بعد انهيار الإمبراطورية، بخاصة بعد الفتوحات الإسلامية والتوغّلات التي قطعت طرق التجارة المربحة. تحولت المدن إلى حصون، حيث يمكن للزعماء البرابرة والسلطات الكنسية العيش في مأوى خلف الجدران الواقية. لكن لقرون، كانت هذه المدن المحصّنة هامشيةً في حياة معظم الناس: بالكاد خمسة في المئة من سكان أوروبا في العصور الوسطى عاشوا في المدن. مع تسارع التجارة مرة أخرى في العصور الوسطى المتأخرة وظهور طبقة تجارية كبيرة، تم توسيع أسوار المدينة لتشمل عدداً متزايداً من السكان. خلال العصر الحديث المبكر، أصبحت المدن مولّدة للازدهار مرة أخرى.

في الصين، كانت المدن الرئيسية مخصّصة في الغالب لرجال الدين والأرستقراطيين، الذين تخدمهم طبقة أدنى دائماً. كان البيروقراطيون الإمبراطوريون بشكل عام معادين أو غير مبالين لطبقة التجار، إذ كانوا يرون أن التجارة أدنى أخلاقياً، بالنظر إلى أنّ التجار بلا تعليم أحياناً ولا يدركون قيمة الزراعة. كما هي الحال في أوروبا، عاش السكان بأغلبية ساحقة خارج بوابات المدينة.

مع التصنيع، أصبحت الثروات الضخمة تتركز في المدن الكبرى. بطبيعة الحال، يميل الأثرياء دائماً إلى التجمّع في أماكن معينة. في القرن التاسع عشر، انتقلت مثلاً عائلة روكفلر الشهيرة من كليفلاند، مسقط رأسها، إلى نيويورك. وبالمثل، جلب العديد من الأباطرة الآخرين ثرواتهم إلى المدينة التي أُطلق عليها في ما بعد تسمية «أكبر مركز تراكم رأسمالي»، وعاشوا في عزلة بمأمن عن الفقر من حولهم.

وعلى الصعيد العالمي، يتجمّع أصحاب المليارديرات اليوم في عدد قليل من المدن، أبرزها مدينة نيويورك، إلى جانب سان فرانسيسكو وموسكو وطوكيو وشنغهاي وموسباي وبكين وسنغافورة ولندن وباريس. وتمتلك خمس عشرة مدينة معاً ما يقرب من 11 في المئة من إجمالي ثروة كوكب الأرض.

أصبحت هذه «المدن الخارقة» أكثر تشعباً، حيث يعيش الأوليغارشية ورجال الدين الزمن الحديث (فئات من كبار المثقفين والفنانين ومشاهير اللعبات الرياضية والأنغلونسر...) الأعلى في قلب المدينة المحصّن، تحيط بهم جماهير لا ملكية لها وغالباً ما تكون فقيرة على الأطراف. وتشكّل النوى الحضرية النخبوية نسبةً صغيرة فقط من منطقة العاصمة في كل من الولايات المتحدة وأوروبا. في فرنسا، يعيش أكثر من 60 في المئة من السكان في الأطراف التي يزداد إهمالها، كالضواحي والمدن الإقليمية والبلدات الصغيرة والمناطق الريفية.

■ تشعّب حضري

بدلاً من كونها قاعدة للتنقل الاجتماعي، أصبحت المدن الكبرى، مناطق جذب لأولئك الميسورين بالفعل. قلة من عائلات الطبقة العاملة أو الطبقة الوسطى يمكنها الآن الانتقال إلى أماكن مثل باريس ولندن وطوكيو ونيويورك وسان فرانسيسكو. غادر العديد من السكان السابقين، مثل الطبقة الوسطى السوداء في شيكاغو، ليصنعوا «مدينة بيتا – Beta city»، أي نمط من المدن المعولمة المُدارة إلكترونياً. وبفسح فهمنا السابق للمدينة الطريق إلى «بيئة معزّزة إلكترونياً» حيث يتم تحديد كل شيء من خلال رمز رقمي. تنبّأ ميتشل بأنّ المدينة ذات التقنية العالية ستكثّف تركيز الثروة في أيدي القلّة.

المدينة الرقمية مناسبة تماماً للنظام الإقطاعي الجديد. تُجبر فئة جديدة من الأقنان الحضريين على العيش في شقق صغيرة والعمل بشكل متقطّع، وغالباً ما يظلون معتمدين على الإعانات أو «الحفاظ على الدخل» الذي توفره الدولة. باستثناء أولئك الذين يمتلكون أو يشغلون التكنولوجيا أو يكتبون الخوارزميات، سيصبح الناس أشبه بمفرّجين في المدينة المحوسبة مثل عامة الشعب في روما الإمبراطورية الذين استولت على وظائفهم السخرة. سيكون البشر موجودين إلى حد كبير كآلات، بدلاً من أن تتم خدمتهم بواسطتهم. قال أندرو هدسون سميث في كلية لندن الجامعية: «النحل موجود على الأرض لتلقيح الأزهار، وربما يكون البشر هنا لبناء الآلات (...) الروبوتات الحضرية بدأت للتوّ في الظهور، وفي غضون 200 عام، قد تعمل الآلات بالشكل الحضري. ستكون المدينة آلة حضرية كبيرة مرتبطاً بعضُها ببعض، وستؤدي دور البشر على الأرض».

رالف فليك ـ لندن 20 (زيت على كانفاس ـ 150 × 150 سنتم ـ 1999)

بورك غليت ـ نيويورك (1952)

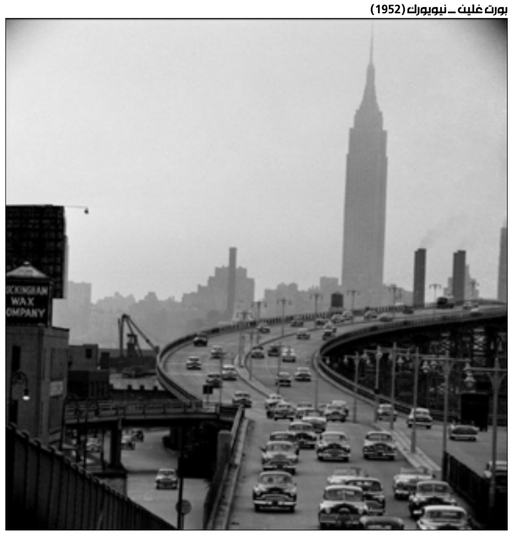

■ هل يمكن مقاومة «مدينة بيتا – Beta city»؟

ما يتم تخميره الآن في وادي السيليكون في نظر كوتكين، والمقترح في تورنتو، ويتم تنفيذه في الصين، والسعودية، والإمارات، ومصر،... يُمكن أن يكون نموذجاً لحضارتنا المستقبلية. يرى الأكاديمي البريطاني ديفيد ليون أنّ المدينة المعولمة والمحصّنة بالأسوار والمسيطر عليها إلكترونياً هي جزء من «مجتمع المراقبة»، حيث تكون جميع الأنشطة الفردية تحت أنظار الطبقات الحاكمة. ستثبت هذه «المدن الذكية» - المسمّى المُهذب للسجون الإلكترونية الكبرى - أنها نقيض الشيء الحقيقي بشكل أساسي. مجرد هيكل يحلّ محل الواجهات الحقيقية للمدينة مضافاً إليها آلات تدير التفاعلات البشرية المجانية والعفوية التي شكّلت في الأساس مجد المدينة التقليدية.

سيتطلب تجنب وصول هذا الشكل الحضري المغتال والخاضع للرقابة، أو على الأقل إبطاء تطوره، اتخاذ تدابير جديدة للحد من قوة شركات التكنولوجيا الأوليغارشية، والكهنة الجدد الذين يروّجون لأجندتهم. قد يكون الأوروبيون في المقدمة هنا، في محاولة للحد من احتكار المعلومات والحد من التدخلات في الحياة الشخصية.

لا شك في أنّ بعض الناس سيرون معارضة «المدينة الذكية» المتمثلة في مشروعات «نيوم» في السعودية، و«العاصمة الإدارية الجديدة» في مصر، ومن قبلهما دبي، وغيرها من المشروعات التي تدور حول المدن في النطاق العربي، كحالة لرفض التكنولوجيا أو إعاقة الكفاءة والتقدم، أو تقييد المشاريع الحرة. ولكن لكي تنجح الديمقراطية، يحتاج المواطنون إلى التحكم ببيئتهم الخاصة بدلاً من تسليمها إلى عدد قليل من الشركات القوية أو النخبة التكنولوجية الصغيرة التي تستفيد من سرقة خصوصيتنا والتلاعب بسلوكنا. يجب أن تكون المدن مناسبة لتطلعات الإنسان، وألا تعمل على دفع سكانها إلى نوع جديد من القنانة.

■ المدن ذات البوّابات: منظور عالمي

عن بريطانيا، حيث تركّزت الثروة بشكل كبير في لندن، يلاحظ المؤرخ والأكاديمي البريطاني بيتر ماندلر: «لقد شعرت كما لو أن البلد بأكمله قد انقلب رأساً على عقب واهتزّ، حتى تجمّعت غالبية الثروة والمواهب في العاصمة». يمكن رؤية أنماط مماثلة في المدن الكبرى حول العالم. حتى تورونتو التي كانت تتمتع بالمساواة تاريخياً، أصبحت منقسمة. في عام 1970، كان ثلثا الأحياء من ذوي الدخل المتوسط، ولكن بحلول عام 2001 انخفض ذلك إلى الثلث، بينما تضاعف عدد الأحياء الفقيرة إلى 40 في المئة من المدينة. توقّع باحثو «جامعة تورنتو» في عام 2007 أن أحياء الطبقة المتوسطة ستنخفض إلى أقل من 10 في المئة من المدينة بحلول عام 2020.

المشهد الاقتصادي المستقطب في لندن هو نموذج للمُدن «الخارقة» بتعبير كوتكين. مدن يحاول الساسة العرب الترويج بأنّها الحل السحري لكل مشكلات المواطن، وليست لندن نموذجاً فريداً، بل تُعاني المدن الرائدة الأخرى في أوروبا (أوسلو، أمستردام، أثينا، بودابست، مدريد، براغ، ريغا، استوكهولم، تالين، فيينا وفيلنيوس) أيضاً من اتساع الفجوات بين أعلى وأسفل التسلسل الهرمي الاجتماعي. أدّت الهجرة الكثيفة من البلدان النامية، أو من الأجزاء الأقل ثراءً في أوروبا، إلى تفاقم الاستقطاب الحضري. مع انتقال الطبقة العاملة والطبقات الوسطى الأصلية إلى الأطراف الحضرية، يتزاحم المهاجرون وذريتهم في المراكز الحضرية. غالباً ما يشغلون مناصب في الطرف الأدنى من الاقتصاد، ولا سيما في الخدمات. في فرنسا، تصل نسبة الشباب المولودين في المدن الكبرى إلى 35 في المئة كما تشير عالمة الديموغرافيا الفرنسية ميشيل تريبالات. المهاجرون، ومعظمهم من خارج أوروبا، يمثلون 37 في المئة من سكان لندن، وأكثر من 40 في المئة في بروكسل وزيوريخ وجنيف.

على عكس الوافدين الجدد الأوائل، يجد المهاجرون اليوم صعوبة في تأمين نوع العمل الذي قد يوفر سلّماً للطبقة الوسطى في الاقتصادات المتراجعة بسرعة مع النمو البطيء. لم تخلق الهجرة الجماعية المستقبل النابض بالحياة المتعدد الثقافات الذي توقّعه بعضهم، ولكنها بدلاً من ذلك أعادت توليد الكثير من الفقر والاضطراب الاجتماعي الذي ميّز المدن الأوروبية الكبيرة في القرن التاسع عشر.

أصبحت الجريمة مشكلة رئيسية في الأحياء المكتظة بالمهاجرين في المدن الأوروبية الكبرى. حتى في المدن التي كانت تُعرف سابقاً بأنها آمنة ومنظمة بشكل ملحوظ، مثل استوكهولم، ارتفعت الجريمة بشكل كبير خلال العقد الماضي. ووفقاً للعديد من المصادر الرسمية، تزامن هذا الاتجاه مع الزيادة الكبيرة في المهاجرين الجدد. لندن، عاصمة أوروبا متعددة الثقافات، وفقاً لبعض المقاييس، تسجّل معدل جريمة أعلى من نيويورك.

■ المستقبل الشمولي

تهدف شركات التكنولوجيا الكبرى - Y Combinator و Lyft و Cisco و Google و Facebook - إلى بناء ما يسمونه «المدينة الذكية». يتم الترويج لهذه الخطط كطريقة لتحسين الكفاءة في الخدمات الحضرية، كما ستوفر المزيد من الفرص للأوليغارشيين لمراقبة حياتنا، فضلاً عن ترويج المزيد من الإعلانات وبيع البيانات. وستحل «المدينة الذكية» محل النمو

نصوص

كتب أوكتافيو باث (1914 ــ 1998) «القرد النحوي» سنة 1970. بطلب من دار «سُكيرا»، ليُنْشر ضمن سلسلة «دروب الإبداع» سنة 1972 باللغة الفرنسية بترجمة الشاعر الفرنسي كلود إستيبان. المختص في الأدب المكتوب باللغة الإسبانية، ومترجم جلّ أعمال أوكتافيو باث إلى الفرنسية. اعتبر المحديدمن النقاد «القرد النحوي» قصيدة نثر. تترجم تجربة باث في علاقته بـ «الآخر». وربط الكلام، الشفوي والمكتوب، بالواقع، الغور في الميثولوجيا الهندية لراماينا وهانومان، القرد المقدس، الذي عبر من الهند إلى سيلان، بقفزة واحدة، محلقاً بين سحاب جبال الهملايا. هانومان له ملكة الكلمة، وعبرها ينفتح طريق الإبداع، لا فرق بين الشرق والغرب. هانومان النحوي، خالف العلامات. اختار باث الطريق ككتابة. الطريق إلى غالطا لا توصل إلى اي مكان. غالطا هي المكان والزمان في ان واحد: «كنت اسير، واسير فقط، دون هدف محدد. كنت ذاهبا للقاء... للقاء ماذا؟» كتابة باث في «القرد النحوي» سيرٌ لا نهائي نحو المعنى. المعنى المتبدّد. والمعلّق في المحو. الكتابة لا نهاية لها لانها «تفنيد وادانة للطريق». النهاية تلغي الطريق. العلاقة كتابة-طبيعة هي ما يمنح وصف باث معناه: «خط وغطاء نباتي. شجيرات وكتابة. قراءة وطريق». لم يكن باث يستحضر ثقافته الشعرية. وهو يُواجه بوصف الطريق إلى غالطا. الطريق كقراءة. هي تأويل للعالم الطبيعي: «جمل. هي نباتات متعرّشة. هي بقع رطوبة. هي ظلال تقذف بها النار داخل غرفة غير موصوفة...». تتحول الاشجار. والاوراق. والايكة. والجذوع السوداء. وكل الغطاء النباتي. إلى ملفوظات لا اسم لها. فالشجرة المتلفّظ بها. ليست هي الشجرة. ولا ملفوظ الشجرة. هي بذور الطبيعة ككتابة تبحث عن معناها في لقاء الشعر ورؤية الشاعر: نقطة التقاء جميع المركزات. هي رؤية الشعر. اي نهاية الطريق. رؤيا هانومان. الإله-القرد. الذي يجعل الكتابة الإنسانية «تستدعي الكتابة الكونية». إن هانومان هو مونوغرام اللغة: الابتكار المستمر للصوت والدلالة. في مقابل إيديوغرام الشاعر: «القرد المقلّد. فنان التكرارات». هانومان هو الحيوان الارسطي المستنسخ للطبيعي. والبذرة الدلالية. «البذرة-القنبلة» التي تنبعث من الجوف اللفظي لاعماق الارض... هانومان نبتة لا تنتظر من يزرعها. إنها مجموع «الثمار الجنسية والزهور اللاحمة للغيرية». المسار نحو المعنى. وتبدّد المعنى. هو «الحركة المزدوجة للكتابة». يعتبر باث الطريق كتابة. والكتابة جسداً بلا مجموعة أجساد (ايكة). بهذا المعنى. فالشعر هادي وجسديّ تجاه الاسماء. وليس الكلام إلا «تحرراً من العالم بحثاً عن معناه». اللغة. كل لغة. حين تبلغ حالة الاتّقاد. «تبدو كجسم غامض». الا تقول كل القصائد الشيء نفسه؟ لكن كل قصيدة متفرّدة. امام مواكب طريق غالطا. حين يظهر القرد النحوي ويختفي. ضائعاً وسط تشابهاته

ترجمة وتقديم **محمد عزيز الحصيني**

أوكتافيو باث: القرد النحويّ (الفصول الأربـعة الأولى)

الطريق إلى غالطا. عبور لانهائي لأبطال السحر
إلى ماري-جوزي

I

الأفضل، سيكون اختيار طريق غالطا، وعبوره من جديد (ابتكاره كما أعبره) ودون أن أضع ذلك في الحسبان، دون الإحساس به تقريباً، والذهاب حتى النهاية، دون اهتمام بأن أعرف معنى «الذهاب حتى النهاية»: لأعرف ذلك، لأعرف ما الذي يختفي وراء النهاية. فخّ لفظي: بعد النهاية لا يوجد شيء، إذا كان ثمة شيء، فالنهاية لن تكون هي النهاية. ومع ذلك، فنحن نسير دوماً للقاء... ونحن نعرف أن لا شيء ولا شخص هناك في انتظارنا. إننا نسير دون هدف محدد، لكن نحو نهاية (أية نهاية؟) للوصول إلى النهاية. بحث عن النهاية. الارتعاب من هذه النهاية: اتجاه وعودة. بدون هذه النهاية التي تنفلت منا باستمرار. لن نسير ولن تكون هناك طرق. لكن النهاية هي تفنيد وإدانة للطريق: في النهاية، تلغى الطريق، ويتبدّد اللقاء. وتتبدّد النهاية أيضاً.

معاودة السير، الذهاب مرة أخرى للقاء: الطريق الضيق الذي يصعد وينزل بين الصخور المسودة والتلال المحروقة، لون وبري: متشبّثة باعمدة كما لو كانت على استعداد للانفصال عنها، والسقوط على رأس السائر، البيوت البيضاء: رائحة الصوف والروث: طنين منتصف النهار: صياح القردة المتفارّة بين فروع الأشجار، وهي تجري فوق الأسطح، وتتراجح على درابزينات الشرفات: على المرتفعات، طواف الطيور ودخان المطابخ المزرّق: الضوء الوردي تقريباً المنعكس على الأحجار: طعم مالح على الشفاه المتيبّسة: ضوضاء الأرض المنهارة تحت الخطى: الغبار الملتصق بالبشرة الدبقة، يجعل العيون محمرة، ويحبس الأنفاس: الصور، الذكريات، التشكيلات المتشذرة، كل هذه الأحاسيس، والرؤى، والأفكار، التي تظهر وتتلاشى في رمشة عين. ونحن نسير للقاء... والطريق أيضاً يتلاشى، وأنا أفكر فيه، وأنا أتلفظه.

■■■

II

خلف نافذتي، على بعد حوالى ثلاثمئة متر، توجد الكتلة الخضراء القاتمة لمجموعة من الأشجار، جبل من الأوراق والفروع التي تترنّح مهددة بالانهيار. حشد من أشجار الزان، والبتولا، ترتعش وتتكمش، متجمّعة في تل صغير، وقد ذابت رؤوسها وتحولت إلى كتلة سائلة، متشنّجة، تحركها الريح وتسوطها، فتجعلها تصرخ. تتلوى الأشجار وتنثني، ثم تنتصب مدوية، تمتد كما لو كانت على أهبة أن تقتلع وتفر هاربة. لا. إنها لا تتنازل. ألم الجذور والأوراق المبتورة. مثابرة نباتية شرسة، ليست أقل قوة من مثابرة الحيوان والإنسان. لو قُيض لهذه الأشجار أن تسير، لقوّضت في طريقها كل شيء. إنها تفضل أن تمكث هنا حيث هي: لا دم يسري فيها ولا أعصاب، لكنّ بها نسغاً، ليس هو الغضب أو الخوف، بل هو عناد صامت يمسكها. الحيوانات تفر هاربة أو تهاجم. الأشجار تظل منغرسة في مكانها. صبر. بطولة نباتية. أن لا تكون أسداً أو ثعباناً: أن تكون شجرة بلوط.

الآن، السماء مكسوّة بسحب لونها معدني، وأبيض، تقريباً، في المرتفعات، وتبيض تدريجاً صوب المركز، فوق الدغل: تتجمّع في نواة أرجوانية، غاضبة. الأشجار تصرخ دون انقطاع تحت عواصف الضغينة. على اليمين، الدوحة أقل كثافة، وأوراق شجرتي زان، متشابكة، تشكل قوساً قاتماً تحت القوس، يبزغ فضاء ساطع، مسالم بشكل لافت، أشبه ببحيرة لا تطاولها العين، لأن سياج الجبران يحتلها إلى النصف. إنه جدار واطئ، وسياج من الطوب، حيث تمتد، خضراء باردة، بقعة شجيرة ورد. هناك، حيث لا أوراق، نلمح جذع شجرة أعقد مشوّكاً. العديد من الأذرع، والمفاصل، والقوائم، وأطراف أخرى، مدجّجة بالأشواك: لم يخطر في بالي أبداً، أن تكون شجيرة ورد على شكل سرطان ضخم. يمكن تقدير مساحة الساحة بحوالى أربعين متراً مربعاً: الأرضية إسمنتية، وعلاوة على شجيرة الورد، زرعت، للتزيين، روضة صغيرة من اللؤلؤيات. وفي أحد الأركان ثمة طاولة خشبية سوداء مخلعة. ما وظيفتها؟ ربما لتحمل أصيص زهور. كل يوم، وفي العديد من الساعات، وأنا أقرأ وأكتب، أعتدت على وجودها قبالتي. أجدها متنافرة أيضاً: ماذا تفعل هناك؟ أحياناً أراها كخطأ مكتشف، كفعل يناقض ما هو عادي. وفي استعادات أخرى، كتخطئة لبلاغة الأشجار والريح. في الجانب المقابل، توجد حاوية القمامة، أسطوانة معدنية بارتفاع سبعين سنتمتراً، وقطر خمسين سنتمتراً: أربع قوائم من السلك الحديدي تحمل الهيكل الدائري مع غطاء صدئ، حيث يتدلى كيس بلاستيكي مخصّص للنفايات. الكيس ذو لون أحمر قان. السرطانات مرة أخرى. الطاولة وحاوية القمامة، جدران الطوب والأرضية الإسمنتية تغلق المكان. هل تغلقه أم هي مخارج له؟

تحت قوس أشجار الزان، يتوغّل النور، وقد تلفّعت لأخرَكَتُهُ بالظلال المحمومة للأوراق... أنظر إليه وأظل هادئاً بدوري. أو بالأحرى: تلتف فكرتي حول نفسها وتظل هادئة لمدة طويلة. هذا الهدوء، هل هو القوة التي تمنع الأشجار من الهروب، والسماء من الإنقسام؟ هل هي جاذبية هذه اللحظة؟ نعم. أعرف بأن الطبيعة أو ما نسميه كذلك: هذه المجموعة من الأشياء والوظائف التي تحيط بنا، والتي تتناوب على إيجابياً وتمزيقنا، ليست شريكنا المتواطئ والمقرّب. ليس من المباح أن نُسقط عواطفنا على الأشياء، ولا أن نخصها برغباتنا. أكثر من ذلك، هل يمكن أن نتعرف فيها إلى دليل على عقيدة حياة؟ أن نتعلم فن اللاحركة في لجة الإعصار، وأن نتعلم أن نحافظ على هدوئنا، ونصبح شفافين مثل هذا النور المنتصب وسط الأوراق المهتاجة، هل يمكن أن ننشئ برنامج حياة. ومع ذلك، فالوضوح لم يعد بحيرة بيضية الشكل، بل أصبح مثلثاً وهاجاً، تعبره خطوط رفيعة وظليلة. يهتز المثلث، على نحو غير محسوس، إلى أن يحدث نوع من الغليان الوهاج، في الزوايا الخارجية أولاً، ثم باندفاع متصاعد، داخل نواته المحترقة، كما لو أن هذا النور السائل بشكل مادة حارقة تميل، بدرجات، إلى الأصفر. هل ستنفجر؟ الفقاعات تشتعل وتنطفئ دون أن تتوقف عن إيقاع تنفّس لاهث. بقدر ما كانت السماء تعتم، كان الجلاء ينحفر، يطرف أكثر كل مرة، مثل مصباح قارب على الانطفاء في حماة هيجان الظلمات. الأشجار تصر عل قعرتها، وقد تلفعت الآن، بنور آخر.

الثبات لحظي دائماً. إنه توازن، هش وناجز في الوقت نفسه، دوامه كدوام اللحظة: تكفي هزّة نور، أو ظهور سحابة، أو تغير ضئيل في درجة الحرارة، حتى ينقضي عهد الهدوء وتنفرط سلسلة الانمساكات. كل انمساك، هو، بدوره، لحظة ثبات أخرى متبوعة بتلف جديد يمكن أن ننشئ برنامج حياة. ومع ذلك، فالوضوح لم يعد بحيرة بيضية الشكل، بل أصبح مثلثاً وهاجاً، تعبره خطوط رفيعة وظليلة. يهتز المثلث، على نحو غير محسوس، إلى أن يحدث نوع من الغليان الوهاج، في الزوايا الخارجية أولاً، ثم باندفاع متصاعد، داخل نواته المحترقة، كما لو أن هذا النور السائل بشكل مادة حارقة تميل، بدرجات، إلى الأصفر. هل ستنفجر؟ الفقاعات تشتعل وتنطفئ دون أن تتوقف عن إيقاع تنفّس لاهث. بقدر ما كانت السماء تعتم، كان الجلاء ينحفر، يطرف أكثر كل مرة، مثل مصباح قارب على الانطفاء في حماة هيجان الظلمات. الأشجار تصر عل قعرتها، وقد تلفعت الآن، بنور آخر.

الثبات لحظي دائماً. إنه توازن، هش وناجز في الوقت نفسه، دوامه كدوام اللحظة: تكفي هزّة نور، أو ظهور سحابة، أو تغير ضئيل في درجة الحرارة، حتى ينقضي عهد الهدوء وتنفرط سلسلة الانمساكات. كل انمساك، هو، بدوره، لحظة ثبات أخرى متبوعة بتلف جديد يمكن أن ننشئ برنامج حياة. ومع ذلك، فالوضوح لم يعد بحيرة بيضية الشكل، بل أصبح مثلثاً وهاجاً، تعبره خطوط رفيعة وظليلة. يهتز المثلث، على نحو غير محسوس، إلى أن يحدث نوع من الغليان الوهاج، في الزوايا الخارجية أولاً، ثم باندفاع متصاعد، داخل نواته المحترقة، كما لو أن هذا النور السائل

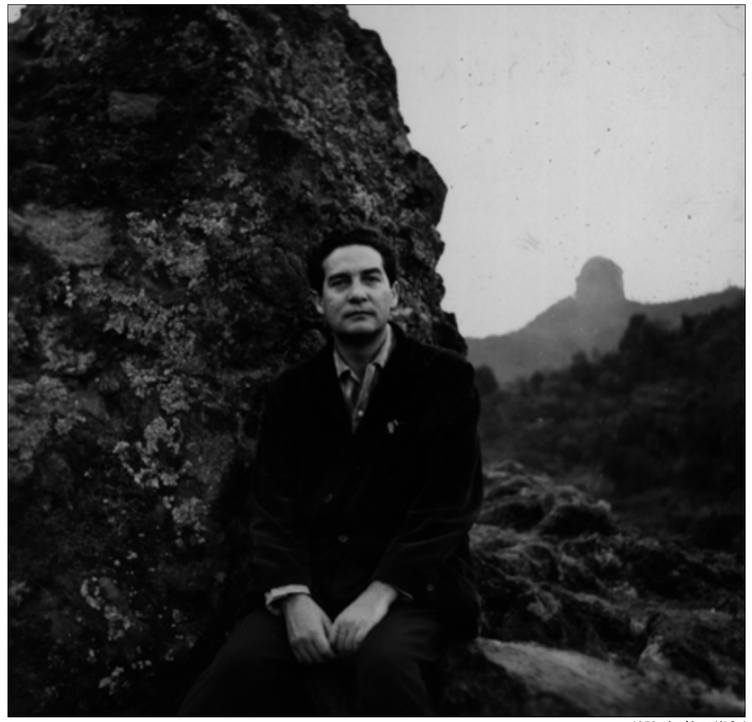

أوكتافيو باث عام 1958

إنها على وشك الحضور، لكن، لا يوجد حضور، بل انتظار، هو صنيع التهيّج والعجز. غالطا لا توجد هنا: إنها تنتظر في طرف هذه الجملة. تنتظرني لتختفي. وأمام الفراغ الذي يحدثه اسمها، أكابد الحيرة نفسها وأنا أمام تلالها المسطّحة منذ قرون من الريح، هذه المساحات الممتدة، المصفرة، والتي، طوال شهور الجفاف، حين تسحق الشمس الصخور وتبدو السماء، مثل الأرض، قريبة من التشقّق. تنهض فوقها إعصارات الرمال. تجليات صهباء، رمادية، أو داكنة، تنبثق فجاة كانبجاس مائي، نبع دفاق من البخار. إلا أن هذه الإعصارات ليست سوى صور للعطش، طقوس جفاف ماكرة. أشباح ترقص وهي تدور، تتقدم، وتتراجع متجمدة، ثم تختفي هنا، لتظهر في مكان آخر: طقوس احتفالية للغبار والهواء. وما أكتبه، هو أيضاً، طقس احتفالي، دوران كلمة تظهر وتختفي في هذه التدويمات. إنني أشيد أبراج رياح.

الإعصارات كثيرة الوقوع على الجانب الآخر من الجبل، وعلى المساحات الشاسعة، وليس على هذه الوديان والمنحدرات. هنا الأرض أكثر وعورة منها في الجانب الآخر، مع أن غالطا لم تجن شيئاً من احتجابها في حضن الجبل. على العكس، فوضعها لم يعمل إلا على جعلها معرضة أكثر إلى عوامل القفر. كل هذه التموّجات، والتجاويف، والمضائق، هي قنوات ومطايا للجداول الجافة. هذه التلال الرملية كانت غيضات في ما مضى. إننا لا نسير فقط بين بيوت مدمرة: المناظر الطبيعية، هي أيضاً، أصابها الانهيار: لم تعد سوى خراب، أقرأ وصفاً كُتب عام 1891: «الطريقة التي تزحف بها الصحراء في المدينة...». بعد ذلك بأقل من عشرين سنة، أصبحت غالطا مهجورة. ليس لزمن طويل: القردة في البداية، ثم جماعات المنبوذين التائهين الذين ذهبوا لاحتلال الخراب.

السير لمدة ساعة أو أكثر. نترك الطريق على اليسار، ونمر بين هضبتين صخريتين، نمشي صُعُداً في ممر أقل جفافاً. خراب غير عنيف، لكنه يثير الشفقة. منظر عظام وبقايا معابد وبيوت. نذور تؤدي إلى ساحات اعمتها الرمال، واجهات لا يوجد خلفها سوى أكوام من الحصى والنفايات، سلالم تؤدي إلى الفراغ، أسطح مهدّمة، مسابح تحولت إلى مكب عملاق للفضلات. نصل إلى وسعة مقشوطة. درب من الأحجار المسنّنة حيث تشعر بالتعب للتوّ. إنها الرابعة بعد منتصف النهار، وما زالت الأرض حارقة. شجيرات سقيمة، نباتات شائكة، غطاء نباتي ملتو ومتهالك، وعن قرب، في المقابل، الجبل الجانح. إهاب من الأحجار. ردف أجرب. هناك في الهواء ما يشبه مادة غير محسوسة، ساحقة، مزعجة وتثير الأعصاب. تبدو الأشياء أكثر هدوءاً تحت هذا النور المهيمن عديم الجاذبية. قد لا تكون الطمأنينة هي الكلمة الصائبة، بل الإصرار: الأشياء تصر تحت إذلال النور لها. والنور يصر. الأشياء تصبح أشياء أكثر، كل شيء يصر على أن يوجد، لا شيء آخر، أن يوجد ولا شيء آخر. نجتاز القاع الحجري لأحد الجداول الجافة بينما وقع الخطى على الحصى يدعو إلى التفكير في صوت الماء: لكن الأحجار داخنة، والأرض داخنة. تلتف الطريق الآن، حول الهضاب المخروطية المسودة. منظر طبيعي متحجّر. هذه الهندسية تناقض الهذيانات التي تحدثها الرياح والصخور هناك، في أعالي الجبل. على بعد مئة متر، نتسلق منحدراً ناعماً، بين أكوام الحجارة وأرض مكسوّة بالرمل. في الهندسة ينجح اللاشكلي: من المستحيل معرفة هل هذه الانقاض هي لتلك البيوت المفكّكة أم لهذا الذي يلح في الصخور المفتتة التي مزقتها الشمس والريح. ننحدر من جديد: أعشاب، نباتات صفراوية، أشواك، رائحة روث وفضلات بشرية نتنة، علب صدئة، خرق ملطخة ببقع وحشية، مجموعة من طيور الرخمة تطوق كلباً ميقور الأحشاء بفعل مناقيرها، ذباب بالملايين، صخرة كُتبت عليها، بالفحّار، الحروف الأولى لحزب التقدم. من جديد الجدول الجاف، مكان شاسع تعيش فيه مئات الطيور والسناجب، الخرائب والأسطح مرة أخرى، الطيران المجنون للببغاوات، أكمة، كانت نصباً في السابق ربما، جدار عليه آثار صباغة حمراء وسوداء (كريشنا وراعياته، طواويس، أشكال غامضة)، بركة مغطاة بزهور اللوتس، وفوق الزهور غيمة فراشات، صمت الصخور تحت الاهتزاز النوراني للهواء، تنفّس المدى، يضيق القلب لسماع صرير فرع شجرة أو صوت حصاة، حين تغير سحلية مكانها (الحضور الدائم اللامرئي لثعبان الكوبرا، والحضور الآخر غير المحسوس الذي لا يفارقنا، ظل أفكارنا، أمام ما نراه، وما نقوم به) وكيفية الوصول، عبر قعر الجدول الجاف نفسه، إلى الوادي الصغير.

حول الجانبين، وفوقهما، توجد التلال الفطساء، المشهد المتاكل بفعل التعرية: في المقدّمة، الجبل والدرب المؤدية إلى الخزان الضخم، ثم، وعبر طريق الحجيج، إلى ملاذ القمم. بالكاد، تظهر بقايا بيوت. ثلاث شجرات زان هرمة ومصمتة. تربض تحت ظلها، أو مغروزة بالأحرى في سمكها، مستكينة إلى ضوء أحشائها الضعيف، كما لو كانت أغواراً، بضعة أطفال مستنفرين بثياب رثة، يحرسون دزينة من الأبقار المستشهدة تحت الذباب والقراد. هناك ماعزان أيضاً وكثير من الغربان. يظهر الرهط الأول من القردة. يقذفها الأطفال بالحجارة. النور الثابت. خضراوان لامعتان تحت النور الثابت، ثمّة بركتا ماء مويوء. بعد بضعة أسابيع سيتبخّر الماء، ويجف الوحل، وتتحول البركتان إلى بُسط من الغبار الدقيق، لياتي الصيف والريح للتعارك فوقها بلا نهاية.

قصائد

تحت الريح

إبراهيم البجلاتي *

-1-

العالم تحت الريح ليس مجازاً
وربما كان لا أعرف بالضبط
لكنّني أعرف أن المقابر كانت في آخر الشارع
قبل التعديلات الأخيرة
وأنهم نقلوا المقابر من هناك
إلى مكان آخر
ليس بعيداً
لكنّه بالضرورة
تحت الريح

على قلق كأنّ الريح تحته... والمقابر تمشي

-2-

بالأمس
أقلعت عن التدخين ونمت في الثامنة مساءً
صحوت مرتين للتبوّل
وأفقت في الثامنة من الصباح التالي
أشعلت سيجارة في السريرياااااه
اثنتي عشرة ساعة دون تدخين
اثنتي عشرة ساعة وأنا في مصحّ على شاطئ البحر حيث يعاد تأهيلي
كدميةٍ ناطقة جمع الرئيس طاقمه الطبي قال لهم:
اليوم خمر وحشيش وحضن دافئ
وغداً تستأصلون عظاماً زائدة في ركبتيه
وتفصلون بالعدل بين الفقرتين: الرابعة والخامسة
علّموه السباحة من جديد
ركوب الجمال
قراءة النجوم
واحتمال العطش
سيقطع مسافات طويلة في الصحراء
سيبقى ليالي كثيرة
يفكر
ويدرّب نفسه
على اكتشاف الفارق الدقيق
بين التعاطف البسيط والعاطفة
سيصعد الجبل ليلاً
يقف على القمّة العالية: ومن هناك ينادي
يا بنات الحور هل هذا قمر مخنوق أم قمر في عاصفة؟

-3-

أيتها الطفولة البعيدة الصامدة
حلم ليلة صيف
أطلت الإقامة في الخريف
الشتاء قريب وفيه لا أحسن الغناء
ربما
عزف منفرد

نقر جنائزي على ترابيزة السفرة
لا وقت لدينا للبكاء (كانَ أحداً سوف يبكي)
لا طعام للضيوف شاي ثقيل
قهوة مرة سجائر للمعزّين
فطائر للصغار
تخيل أنك في جنازة نفسك أنت في الأمام ولا أحد خلفك
الطريق طويلة
تحت هذه الريح
والمقابر تمشي

-4-

في الفاصل بين مقطعين: فشلت في إقناع الصغير بثلاثة أشياء
أن يغسل أسنانه قبل أن ينام
ألا يحمل التراب في قدميه إلى السرير
أن يكفّ عن الكلام
وفي الفاصل أيضاً
وقفت مع الكومبارس في الشارع أشاهد نهاية العالم
للمرة الألف
والغريب يا أخي
ورغم أنني لست مقتنعاً
أن العالم سينتهي
بكوكب القرود
أو سلاحف النينجا
إلا أنهم ينجحون في شد انتباهي حتى اللحظة الأخيرة
كأنهم يعرفون أن العالم لن ينتهي في غرفة المونتاج وأن اليوم الذي ينتهي بغسل المواعين لا يُعول عليه
تعبت من ملمس الزيت في سائل الغسيل ومن النوم وحيداً كالغريب:
ومن حل الواجب المدرسي لصديقة تدرس في الخارج
قارن بين رسالة من امرأة مجهولة ورسالة من تحت الماء

-5-

أعتقدُ أنهما رسالة واحدة
مواجهة: ثم معجزة لم تكتمل

هارتن فالك ــ مقبرة تحت الثلج (زيت على كانفاس ــ 45 × 36 سنتم ــ 2008)

في الانتقال السهل
من التنفّس تحت الماء
إلى الغرق

-6-

الحياة ماكينة يصنعون لها قطعاً
للغيار ربما تحتاج إلى رقبة طويلة
كي ترى العالم من أعلى أو ذراعاً أقوى
كي تحمل الجبل من الصحراء إلى البحر
لكنها في الحقيقة تحتاج إلى قلب
أقل صلابة من الحجر الجيري لعله يتفتّت من الحزن
أو عندما تنطبع عليه قبلة اليتيم
كعكة محلاّة بالتوت والسكر
عجبة والحياة ماكينة
تمد النوم بالأحلام
وتضع الحلم في مكانه الصحيح
لعلّه يجد التفسير
أو يلمس المعنى
في شريط الصوت
على الشجرة عش، وفي العش بيض
وأفراخ توصوص
قبل أن تموت
أو ينقذها طفل ضرير يتعلم النجارة يعرف بالقلب صيغة لله أو لون الجنة قبل أن يسقط في النهر ويجرفه التيار،
فيلم أم حلم كلاهما مرّ
في الغابة
ينقذ الأعمى الحياة من نفسها
فمن ينقذ الأعمى؟

-7-

المولودون في التسعينيات
لا أقول إنهم لا يعرفون معركةً بعيدة مثل رأس العش
لكن أقول إنهم لم يلعبوا الكرة الشراب في الشارع
لذا لا يعرفون العمل الجماعي
ولا يجدون في «الحرّيف» مجازاً لاتساع الهامش ومصير الموهبة
حتى لا أقول مجازاً لانكسار الروح في دوح الوطن
من هنا ياتي الشجن؟ ربما
وربما ياتي من انقطاع الكهرباء عن غرفة العمليات أو العناية الفائقة
للمبتسرين أطفال «توصوص»
في صندوق زجاجي عميان تقريباً
لكنهم يشربون إصبعاً بالملمس
يقبضون عليه
بأكف صغيرة جداً
كي لا تقع
اترك لهم إصبعك، المكان تغيّر
اللقطة ثابتة
والمقابر تمشي

* مصر

شذرات

على ورق أصفر

سراج الدين الورفلي *

الجمل الشعرية لا بد أن تُكتب على ورق أصفر، الورق الأبيض مضيعة للوقت، يفرغ الجمل من معانيها، يدلقها بغباء كما تفعل القطط المدلّلة بأكواب الحليب، الورق الأصفر يحفظ هيبة الكلمات، عميق، وعتيق، وطازج في الوقت نفسه، الكلمات على الورق الأبيض الناصع تبدو كالنظريات العلمية البائسة، ركيكة وغير مهمة للأبد، مزوّرة في أحيان كثيرة، تبدو ككلمات مسروقة، ساذجة مثل كتاب مدرسي، الورق الأصفر له رائحة، رائحة الغموض وعدم اليقين، رائحة الخلود والعدم، رائحة جلود الماعز والكهوف الأولى للإنسان، تعويذة سحرية يتم تهريبها خفية من يد إلى يد، الورق الأبيض ورق الحكومات وأجهزة الدولة، ورق الملفات القضائية وأجندة المحاسبين، الورق الأصفر هو للسحرة والصعاليك، خرائط الكنز في جيوب القراصنة ورسائل العشاق والانتحار، رسائل الثوار والمتمرّدين المقبوض عليهم والمرمية في صناديق بعيدة والتي غير مقدّر لها أبداً أن تصل إلى وجهتها، ومع ذلك تتابع مسيرتها المجيدة نحو الحرية.

***

موسيقى الجاز والحب، كانا يصنعان لي دائماً نهراً وجسراً. أعمدة إنارة وفتاة لم أرَ يوماً وجهها، أراقب ظهرها وهو يختفي في الظلام بعد أن تطفئ سيجارتها في الكأس التي أمامي.

***

الحب هو أن تدعو عصافير المدينة لتبني عشّها داخل عينك التي خسرتها في الحرب.

* بنغازي/ليبيا

دراسة

عبد السلام بنعبد العالي: الفلسفة والأدب مدينان للترجمة

عبد الرحيم الخصار

في تقديمه لكتاب «انتعاشة اللغة» (منشورات المتوسط) للمفكر المغربي عبد السلام بنعبد العالي، يرفع الكاتب المعروف عبد الفتاح كيليطو من مقام الكتاب وصاحبه، إلى درجة أنه صرّح بأن بنعبد العالي غيّر نظرته إلى موضوع الترجمة في مؤلفه الجديد. وحين يصدر مثل هذا الاعتراف من أحد أقطاب النقد والثقافة الأدبية في عالمنا اليوم، فهذا يدعو إلى الانتباه، ببالغ التقدير، لمشروع عبد السلام بنعبد العالي الفكري.

يعتبر كيليطو أنّ دراسة بنعبد العالي «الجادّة والمبدعة» هي أوّل دراسة فلسفية أنجزت عن الترجمة في الثقافة العربية المعاصرة، ويضفي على المفكر المغربي صفة الفرادة والجنوح إلى البحث العميق والهادئ الذي ينأى عن الخطاب الجمعي، ويفضل الصوت الخفيض في التفكير، بعيداً عن ثقافة الصراخ والشعار: «من الكُتّاب مَنْ يُشعِرُك منذ كلماته الأولى أنه يخاطب جماعة، وينتظر باسمها. ليست هذه حال عبد السلام بنعبد العالي الذي يتحدث إليك بصوت ذي نبرة خاصة، وطابع فريد، ويجعلك تتخيّل أنه يخاطبك شخصياً، ويكتب من أجلك. وفي ثنايا أسلوبه الهادئ الرّصين، تحسُّ سخرية مكتومة ومعاناة خفية مستترة، معاناة الفيلسوف الذي يخالف الأفكار الجاهزة، ويطرق المواضيع الأساسية».

في فصل «الكتابة والترجمة»، ينطلق عبد السلام بنعبد العالي من فكرة كيليطو نفسه، تدعو إلى الكثير من التأمل، مفادها أن الكاتب لا يمكن أن يكتب بلغة واحدة ما دام يعرف أكثر من تلك اللغة، فثمة أشياء تتسرب من اللغة الأخرى، وإن لم يكتب بها. ويمكن الوقوف عند نماذج من الكتّاب المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية فقط. إن الكثير من خصائص لغتهم العربية تنفذ إلى داخل كتاباتهم بوعي أو بغير وعي. وحتى الذين يكتبون بالعربية أدباً حديثاً، ولا يتوقف كيليطو عند التعابير اللغوية الأجنبية التي تتسرب إلى نصوص الكتّاب الغرب المعاصرين، بل يرى أن «نماذجهم الأدبية هي نماذج أجنبية في جزء منها».

ويدعم بنعبد العالي فكرة كيليطو بفكرة موازية للسوسيولوجي المغربي عبد الكبير الخطيبي الذي كان يرى أن كل لغة هي لغة أجنبية عن نفسها لأنّ «الأدب ينغرس في شجرة أنساب نصية». إن ما يكتبه كاتب اليوم هو نتاج تقاطع ثقافته مع ثقافات اللغات الأخرى، وبالتالي فثمة تلوينات لغوية يوظفها هي في الأصل قادمة من أكثر من لغة، وإن اطّلع عليها بلغة أجنبية واحدة، أو بلغته الأصلية. ونقصد هنا بالأساس النصوص التي عبرت بين لغات عديدة. فالترجمة جسر كما هو مشاع، لذلك اختار بنعبد العالي أن يضع لكتابه مدخلاً أدبياً للفيلسوف الفرنسي ميشال سير: «على جسر كيهل، نرقص في الوقت ذاته في ألمانيا وفي فرنسا، نرقص، لا في فرنسا، ولا في ألمانيا. ليس في واحدة، ولا في الأخرى، فيهما معاً». الرقص على الجسر هو بمعنى آخر متعة الترجمة، تلك المتعة التي قد تقاوم أحياناً متعة الكتابة باللغة الأصلية ومتعة القراءة باللغة المترجَم إليها.

إضافة إلى المتعة، ثمة امتيازات ينبغي أن تتوافر في المترجم، وربما هذا ما جعل إميل سيوران يصرح مرةً أنه الناقد بمترجمين أذكى من المؤلفين الذين ترجموا لهم، مؤكداً أنّ الإنسان يحتاج إلى العقل أثناء الترجمة أكثر من احتياجه له خلال الإبداع.

ما يقصده بنعبد العالي بانتعاشة اللغة، هو ما يقع للكثير من الآداب التي قد تذبل في موطنها الأصلي، لكن تعود إليها الحياة من جديد في بلد آخر، حين تنتقل عبر الترجمة إلى لغته، وتنفتح بالتالي على ثقافات أخرى وتفاعلات قرائية مختلفة في الغالب عن تلك التي حدثت في البلد الأصلي للكتابة. فالترجمة، حسب بنعبد العالي، هي ما يضمن للنص الديمومة والبقاء.

وبما أن الترجمة جسر، فقد ارتأى المؤلف أن يتوقف عند مفهوم الجسر، واختار بطبيعة الحال المنظار الفلسفي، فاورد تعريفات لبعض الفلاسفة وتوسّع في مناقشتها. غير أن هذا الجسر بقدر ما يسعى إلى تقريب المسافة بين لغتين، يوطّد في الآن ذاته حقيقة الاختلاف. فالنص الذي وصل إليه المترجم ليس هو النص الذي أراد الكاتب كتابته، لو الأصل. ويستند في ذلك إلى رأي استقاه موريس بلانشو من أحد المنظرين الألمان يستغرب فيه حرص المترجمين الألمان على «تجميد» حال لغتهم، بدل المساهمة في انتعاشتها عبر تلك التفاعلات المتأتية إثر اللقاء بلغة الضفة الأخرى: «إن أحسن ترجماتنا الألمانية تنطلق من مبدأ خاطئ، وهي تزعم إضفاء الطابع الألماني على السّنسكريتيّة والإغريقية والإنكليزية، بدل العكس، أي إعطاء الألمانية طابعاً سنسكريتياً وإغريقياً وإنكليزياً». وعليه فالترجمة بقدر ما هي إحياءٌ لأدب اللغة المصدر، هي في الآن ذاته تجديدٌ للغة الهدف.

اعتبر بورخيس أنّ ترجمة فيتزجيرالد للخيّام انتجت شاعراً ثالثاً مذهلاً لا يشبههما بالضرورة

يطرح بنعبد العالي مسألة بالغة الأهمية تخص ترجمة الكتب العربية إلى لغات أجنبية. ويورد حدثاً فيه الكثير من الطرافة السوداء. فقد عبّر مرةً المترجم الألماني هارتموت فندريش لصحيفة عربية عن تأسفه لكونه لم يتلقَّ طوال مسيرته الثقافية أي اتصال من العالم العربي لتقديم كلمة شكر له لأنه ترجم الكثير من الأعمال العربية إلى الألمانية. وحين سئل عن الأطراف التي كان ينتظر أن تصله منها كلمة شكر، أجاب بأنه كان ينتظر ذلك من السفراء العرب. يرى المفكر المغربي أن هذا الموقف ينسم بنظرة استعلائية، لأن المستعرب الألماني يعتقد بأنه يقدّم معروفاً أو مساعدة إنسانية للعالم العربي لأنه ينقل بعضاً من آدابه إلى لغة دولة عظمى هي ألمانيا. في المقابل، يستحضر نموذج يوهان غوته الذي لم يكن يرى في ترجمة النصوص الأجنبية إلى الألمانية إنقاذاً لتلك النصوص، بل تطعيماً للغة الألمانية نفسها وثقافتها.

يتوقف بنعبد العالي عند الحالة التي تنتقل فيها الترجمة إلى مستوى الإبداع، ممثلاً بنموذج فيتزجيرالد الذي نقل رباعيات الخيّام إلى الإنكليزية، ومستحضراً إشادة بورخيس في هذا الصدد، حين اعتبر أن ترجمة فيتزجيرالد للخيام أنتجت شاعراً ثالثاً مذهلاً لا يشبههما بالضرورة. ينبهنا الكاتب أيضاً إلى حالة الكتّاب الذين يكتبون وعيونهم على الترجمة إلى لغة الآخر باعتبار أنها اعتراف، مفككاً علاقة الكاتب بمترجمه.

يعتبر بنعبد العالي أن الترجمة قضية فلسفية في الأساس، ذلك أنّ تعدد اللغات بحدّ ذاته إشكال فلسفي. ويتوقف عند صفة الخيانة التي صارت لصيقة بالترجمة، متعقباً منابع هذه الصفة التي يرى فيها فضيلة، على عكس ما يوحي به التأويل الأخلاقي لها. فإذا كانت الخيانة زيغاً عن طريق الصواب، فالكتابة برمتها قد تكون خروجاً عن هذه الطريق. يؤكد رولان بارت أن الكتابة خيانة للغة. ويعمّق بنعبد العالي الإشكال حين يفتح موضوع «الخيانة المضاعفة»، ويقصد بها ترجمة النصوص عن ترجمات أخرى، إذ يصل النص إلى قارئه متنقلاً بين أكثر من لغتين. ويمثل بكتب الفلسفة الألمانية التي وصلت إلى العالم العربي في معظمها عبر لغات وسيطة. ويختار الكاتب لهذه الترجمات اسماً طريفاً: «الترجمات الخفيدة».

يشير بنعبد العالي إلى مفارقة تنجم عن توجّه الكاتب العربي، وهو يكتب بلغة أجنبية، إلى القارئ العربي بدرجة أولى. فزيما أحسن تقدير للنص العربي هو أن يصل إلى القارئ العربي مُترجَماً من لغة أخرى. في المقابل، يتساءل إن كان الأصل يُغني عن الترجمات، متوقفاً عند ظاهرة المنشورات المزدوجة اللغة، التي يرى أنها موجهة في الأساس إلى القارئ من نوع خاص: «قارئ غير مُولع بخلق القرابة، وإنما بتكريس الغرابة، قارئ يبذل جهده لأن يُولّد نصّاً ثالثاً بعقد قران بين النّصّين واللّغتين».

يتوقف المفكر المغربي عند الحالة التي تتفوق فيها الترجمة على الأصل، مشيراً إلى نماذج الروايات العربية التي صارت في لغات أجنبية أفضل من أصولها حين تخفّفت من الأخطاء والركاكة، وعند نماذج من الكتب الفلسفية الألمانية التي صارت أكثر وضوحاً في ترجمتها إلى الفرنسية.

يناقش الكتاب إشكالات الترجمة، ويحث القارئ أن عبد السلام بنعبد العالي قد قال كلّ شيء تقريباً عن هذا الموضوع الشائك والمتشابك في 272 صفحة. كما يكتشف من يقرأ الرجل لأول مرة أنه ذو معرفة هائلة بالآداب العالمية، هو القادم من حقل الفكر والفلسفة. ويبدو الملمح الأدبي حاضراً بشكل لافت في طريقة كتابة بنعبد العالي، ثم إنه يملك خاصية ندر أن نجدها في بناء كتب الفلسفة والفكر، وهي التشويق.

رواية

حسن سامي يوسف: رسالة إلى ما فقدنا

يزن الحاج

انقرضت الرسائل من حياتنا الواقعيّة حيث تغوُّل وسائل التواصل. أو لعلّها أوشكت على الانقراض لمصلحة «الشات» الذي يعني ببساطة أنّ زمن الاسترسال والاستطراد والبوح قد انتهى، وبدأ زمن الرسائل البرقيّة القصيرة التي جعلت حياتنا أشبه بشريط الأخبار العاجلة في الشاشات. بل إنّ الرسائل لم تشكّل عنصراً مهماً في أعمالنا الأدبيّة، في مقابل المونولوغات. وكأنّ التواصل قد انقطع حتّى قبل وصول وسائل «التواصل». قمنا بركن الرسائل في خزانة الذاكرة البعيدة بجانب الورقة والقلم والشّطب. باتت حياتنا ورقةً بيضاء نظيفة لا شوائب فيها؛ فقرات سريعة متلاحقة ومسحوبة الدسم مثل المفلّفات الحكوميّة. كنّا نظنّ أنّ الرسائل انقرضت بعدما طردناها من أبوابنا، إلا أنّ حسن سامي يوسف استعادها من الشبّاك وألقاها أمام أعيننا كي ندرك ما فقدنا.

يعود حسن سامي يوسف برسالة أخرى، إلى سيدرا هذه المرة، بعد رسالته المذهلة إلى فاطمة قبل 25 عاماً. يعود بسيناريو روائيّ أكثر من كونه رواية سينمائيّة. يعود بعمل ضخم بالمقارنة مع الروايات القصيرة التي باتت الجنس المفضّل في الكتابة وفي الترجمة. يعود بعمله الأحدث «على رصيف العُمر» (دار ورد)، بعدما كان قد شرّح «عتبة الألم» روائياً، وكتب مجموعة من أعظم السيناريوهات التلفزيونيّة السوريّة والعربيّة منفرداً، وإلى جانب شريكه نجيب نصير. يعود يوسف بمسلسل روائيّ مكتوب، وهو الذي يتميّز بطريقةٍ متفرّدة في كتابة السيناريو، حيث ينفر من الجداول المعتادة في تقسيم الحياة إلى خانات، بل يكتب - كما يفكّر - في تدفّق لغويّ مُبهر من فرط تفاصيله الدقيقة الحارقة المؤلمة. لعلّ أول سؤال سيطرحه قارئ «على رصيف العمر»: هل هذه رواية؟ السؤال صحيح جزئياً لأنّ هذه الرواية لا تشبه جحافل الروايات التي اجتاحتنا في السنوات الأخيرة. على أنّ متابع مسيرة يوسف الروائيّة لن يكترث لهذا التّصنيف، امتداداً لكتابين سابقين يصدق عليهما السؤال بدرجة أكبر. لم تكن «عتبة الألم» رواية بالمعنى الصارم للتصنيف، وكذا الأمر بالنّسبة إلى «هموم الدراما» («الدرامة») كما يفضّل يوسف تهجئة الكلمة) التي أدرجها يوسف ضمن أعماله الروائيّة مع أنّها نُشرت ضمن سلسلة «الفن السابع» التي تصدرها «المؤسسة العامة للسينما» في سوريا. كانت «هموم الدراما» أقرب إلى يوميات سيناريست يحاول فهم معنى الدراما وتقديمها بصيغة مبتكرة إلى القارئ العاديّ مستنداً إلى حياته الشخصيّة وتفاصيله اليوميّة، فيما افترقتْ عنها «عتبة الألم» في كونها يوميات كاتب بات يتساءل عن جدوى السيناريو والكتابة بأسرها في زمن الاشتباكات اليوميّة الدامية، مع حفاظه على إيقاع السيرة الذاتيّة. تبدو «على رصيف العمر» تكملةً للعملين السابقين، ولكنّها تنأى عن السيرة الذاتيّة الصريحة، وترتدي قناعاً - ولو هشّاً - في تقديمها «بطلاً» آخر لا يشبه كاتبه للوهلة الأولى، إذ هو أصغر سناً وأغزر نتاجاً، ولكنّه أقرب إلى «بورتريه للكاتب في صباه» وفي شبابه، ولكنّ ضمن سياق الحياة التي يعيشها الكاتب الكهل فعلياً.

قراءة «على رصيف العمر» ضمن سياق الجزءين الأول والثاني من هذه الثلاثيّة (الرباعيّة، لو أضفنا «رسالة إلى فاطمة») ضروريٌّ لفهم العمل الأحدث أكثر، من دون أن يعني هذا أنّها ليست رواية مستقلّة منفردة. الهموم ذاتها، وإنْ اختلفت السّياقات. كان أكبر هموم بطل «رسالة إلى فاطمة» و«هموم الدراما» تصوير مدة قدرة الكاتب، أيّ كاتب، وبراعته في التّحايل على المحظورات والرقابة. وفي التركيز على ماهيّة الكتابة حيث لا بدّ للكاتب فيها من احترام نفسه واحترام قارئه بصرف النّظر عن سقف الرقابة الخانق، وفي تقديم عمل يُشرّح الشّجَن ويحتفي به: شجَن الحب والحنين والبعد والقرب والعلاقات المركبة الهشّة في آن. غير أنّ المحظورات باتت أشرس في السنوات الأخيرة، لذا تسلّلت نبرة غاضبة لم يعهدها قارئ أعمال يوسف الأقدم. بات يوسف (وأبطاله، أكانوا صورةً صريحةً أم قناعاً له) أمام اختبارات قاسية تلامس جوهر الهويّة في ذاتها. ما معنى أن تكون فلسطينياً في سوريا؟ («عتبة الألم»)، وما معنى أن تكون «رمادياً» في سوريا الاستقطابات الحادة؟ («على رصيف العمر»)، قد تبدو القضيّة الأولى أكثر إيلاماً وأهميّة، حين تبرز القيود والحدود والجدران بكلّ فجاجة أمام الكاتب الفلسطينيّ الذي يُضطر إلى مواجهتها ولعب دور الدفاع عن ذاته التي لا يمكن له، ولا لغيره، تقديم تعريف بسيط لها. أن تكون خارجياً، لامنتمياً، فيما أنت داخليٌّ عميق الانتماء في آن. بيد أنّ القضيّة الثّانية أقسى، على الأخص حين يُغفل يوسف عمداً الإشارة إلى هويّة مركّبة لبطله الذي أمسى هذه المرة سورياً «صرفاً»، من دون أن يعني هذا انخفاض ضغوط الهويّة والكينونة ومعنى الوجود في بلادٍ يبرع أبناؤها في ابتكار التّصنيفات وتشييد الجدران العازلة.

سيناريو روائيّ أكثر من كونه رواية سينمائيّة

لقي يوسف بطبله أمجد، في «على رصيف العمر»، إلى حافّة الحدود «الرماديّة» وحافّة الحدود الهشّة بين التّصنيفات. هو ابن العشوائيّات وبات ابناً لأغنياء الطبقة الوسطى، سيناريست تلفزيونيّ حيث لا معنى للكتابة بلا تسويات ومساومات، وكاتب روائيّ لا وجود للتسويات في ذهنه، ابنٌ للطمات الموت المتلاحقة وعاشق للحياة التي يتمنّى عيشها بثمالتها، ابن لعلاقات الماضي وابن لعزلة الحاضر، والأهم، ابن لنساء كثيرات أسهمن ويسهمن في تكوينه وابن لنفسه وحدها في محاولاته الدائمة للتخلّص من أطياف الأنوثة التي تطوّقه ولا يُطيق فراقها. أما ضمن السياق السياسيّ، فهو العائش في وهم امتلاك هويّة مُسلَّم بوجودها وبماهيّتها، فيما هو مضطر يومياً، بل وفي كلّ لحظة من لحظات حياته، إلى تقديم كشف حساب لإعادة تكوين ماهية هويّته تبعاً لشروط التّحقيقات التّشبيحيّة التي يهواها السوريّون ويبرعون في ابتكار أسئلتها. أنت متّهم في هويّتك حين تبقى طليقاً فيما يقبع الآلاف في المعتقلات، وحين تبقى حياً فيما يموت عشرات الآلاف قتلاً وقصفاً، وحين تكتب عن هموم شخصيّة في ظل جيوش الكتّاب العسكر حيث لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وحين تُجاهر بحبّ الحياة - أو بحبّ تفاصيل منها - فيما يتباهى الجميع بسموّ الركض نحو الموت. ولذا لا مفرّ إلا إلى الذاكرة، وإلى محاولة خلق حياة موازية.

من هنا بالذات، يتّضح للقارئ بهاء صور الماضي في «على رصيف العمر» في مقابل الحاضر الكالح بكلّ تفاصيله الموجعة؛ جمال الفرار إلى الخيال؛ روعة اللجوء إلى أرض الذاكرة التي لا تستلزم جواز سفر أو قوارب موت/نجاة؛ متعة الرّكون إلى الأيام التي مضت بكلّ طيشها وقسوتها وحنانها وبساطتها؛ لذّة استعادة جوهر الفنّ في كتابة البوح الهامس وسط زعيق التّوثيق، واستعادة ما فقدنا حتّى لو خيالاً، أو في رسالة نُدوّن في غير زمنها.

شهادات

نبيل المالح... سيرة مضادّة

خليك صويلم

خمس سنوات مضت على رحيله، لم تُطفئ اسمه من الذاكرة، ذلك أن نبيل المالح (1939- 2016) ترك وشماً راسخاً في الثقافة السورية، ليس كمخرج سينمائي طليعي وحسب، وإنما كديناميو ثقافي متحرك. كائن حالم على الدوام، لطالما اشتبك مع أكثر قضايا بلاده إشكالية. كان صاحب «بقايا صور» من أوائل السينمائيين السوريين الذين دافعوا بقوة عن «السينما البديلة»، محقّقاً قفزات نوعية في تظهير صورة مضيئة تنطوي على هموم وتطلعات جيل أراد أن يقول «لا» في مواجهة التخلّف والقمع والاستبداد.

اليوم تستعيد كوكبة من السينمائيين والنقّاد العرب سيرته وأرشيفه السينمائي في شهادات حارة ضمّها كتاب جماعي بعنوان «العين الثالثة: نبيل المالح شغف الإبداع السينمائي» (دار كنعان)، حرّره قيس الزبيدي وسعيد البرغوثي. تبدو المسافة طويلة بين فيلمه «الفهد» (1972)، والخمسينيات إلى أثينا الثمانينيات، ليموت في منفى آخر ويُدفن في دبي، من دون أن يتخلى عن مغامرته يوماً، حتى إنه لم يتردّد في إنجاز فيلم أخير مدته دقيقة واحدة بعنوان «فلاش»، وهو أقصر فيلم روائي. في شهادته حول سينما صاحب «أكليل الشوك»، يقول قيس الزبيدي: «قدّم موديلاً لفيلم واحد». ويرثيه محمد ملص بوصفه الحلم بروح نقدية لاذعة وجريئة.

في «كومبارس»، سيكتفي بمساحة غرفة تضم عاشقين، يتسلل الخوف إليهما تدريجاً، إلى أن تتحوّل الغرفة إلى قفص بقضبان خشنة، وإذا بهذا الشريط يتحوّل إلى علامة نافرة في السينما السورية، وإشارة صريحة إلى قوة الهامش وخصوصية البلاغة البصرية التي تشعّ في نسيج السرد، بعدما استغرقت هذه السينما طويلاً بأفلام السيرة الذاتية لمخرجيها: «اكتشفتُ فجأة أننا نعيش في عالم عربي فيه 250 مليون عربي من الكومبارس، وأن بطل فيلمي أعزل لا يملك سوى الوهم» يقول.

في أرشيفه 12 فيلماً روائياً، وعشرات الأفلام التسجيلية، وعشرات المشاريع المجهضة... لكنّ هذا الكم من الأفلام لا يغريه بالركون إلى منجزات الأمس حتى لو انتهت هذه المشاريع إلى الأدراج: «أرغب في أن أعيش حالة ابتكار وتجدّد دائمين، من موقع الاختلاف لا التراكم» يقول.

سندباد سينمائي عاش سنوات طويلة في منافٍ اختيارية، من براغ السبعينيات الدبلة، والذين واجهوا أيضاً عقبات لا تُحصى». ويشير هوفيك حبشيان إلى أن نبيل المالح سعى إلى تأصيل هوية سينمائية عربية «لكنه اكتشف أنه يقاتل في جبهة وحده». ويرثيه محمد ملص بوصفه جيلاً من صنّاع الأفلام لينجزوا مهمة معلّماً لجيله، وها هو يستعيد فيلمه «كومبارس» بقوله: «لم يكفّ يوماً عن أن يرمي نفسه في جحيم السينما، خطوةً وراء خطوة، ليؤسس خطّاً جديداً في السينما السوريّة، وصولاً إلى تحفته «كومبارس»، واضعاً لمسته على أكثر القضايا إشكالية بجمالية بصرية متفرّدة». ويضيف: «ها نحن اليوم نكتشف نظرتك الثاقبة إلى ما نحياه من ضيق في الأمكنة والأرواح، ونعجز عن صوغ أحلامنا خارج الأمكنة الضيّقة بشروط قاسية وصعبة ومحدودة، بعدما حُرمت علينا حركة الشارع، وحرّمناها على أنفسنا بوجود حَمَلة السيوف. كنت حرّاً وهذا ما نفتقده نحن اليوم».

يختزل نبيل المالح المحن التي واجهته في صناعة سينماه بقوله: «اكتشفتُ أنني أعزل، وكنت أعتقد أن تاريخي يمنحني الحصانة، ولكني في محيط يشبه قصص كافكا لجهة اللامعقول والعفونة». وسوف يختار صاحب «نابالم» عنواناً موحياً لسيرته هو «كأنني أبدأ اليوم» يعود فيها إلى حادثة مؤثرة في طفولته: «كنتُ في الثامنة عندما صفعني جندي، لأنني قلت لا، رافضاً التنازل عن دوري في ركوب أرجوحة في منتزه عام، ووضع مكاني ابن سيّده الضابط... لم أبكِ... ولم أشكُه لأحد. وجدت حجراً صغيراً، رميته به، وهربت». ولكن ما هي السينما التي تستهويك؟ يجيب: «هناك اثنان فقط هما القدوة في العلاقة بالسينما، وليس كمدرسة سينمائية، إنهما برغمان وفيلليني، فهذان المجنونان الرائعان أنجزا أعمالاً لا تُنسى ولكنّ تميزهما هو في بحثهما. فبالرغم من كل ما أنجزاه، كل على حدة، فإن أحداً منهما لم يكرّر نفسه، وإنما كانا يكتشفان دائماً أشكالاً تعبيرية جديدة».

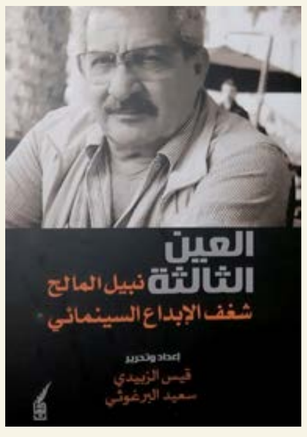

سندباد سينمائي عاش سنوات طويلة في منافٍ اختيارية

لمحات

يارا الغضبان

تنطلق أحداث الرواية من سؤال راود الكاتبة يارا الغضبان أثناء زيارتها إلى فلسطين المحتلّة، عما كان يجري في رأس أرييل شارون حين كان يقبع في الغيبوبة لسنوات قبل رحيله سنة 2014. تدخل الكاتبة والباحثة الأنثروبولوجية الكندية الفلسطينية إلى رأس رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي في روايتها «أنا أرييل شارون» (منشورات المتوسّط - ترجمة عصام الشحادات). من خلال شخصيات أربع نساء، تعكّر الغضبان صفو هذا الهدوء الظاهر في الغيبوبة، حيث تستدعي أحداثاً وتضعه في مواجهات مع ذاته، وتاريخه الدموي، جامعة ما بين التاريخي والإنساني في عملها السردي.

عمل جماعي

«غرف غارقة في الصمت والظلام – قصص مختارة من الأدب الفارسي» هو عنوان المجموعة القصصية التي تصدر قريباً عن «دار خطوط وظلال». القصص التي اختارها وترجمها وقدّم لها عبد الكريم جرادات، تركّز على معاناة المرأة الإيرانية وما تواجهه من اضطهاد في الحياة الاجتماعية في بلادها. بأساليب وأصوات وأسماء مختلفة، تتناول القصص والحكايات المختارة رحلة المرأة الإيرانية لنيل حريّتها، وما تتضمّنه هذه الرحلة من عقبات وتقاليد وأحكام تفرض عليها صراعات كثيرة في هذا المجتمع.

روبرت كولدفاي

كان الأركيولوجي الألماني روبرت كولدفاي (1855 – 1925) أوّل من كشف بوّابة عشتار وأسوارها ومدخلها وتماثيلها نهاية القرن التاسع عشر. يدعونا «بابل تنهض من جديد – نتائج التنقيبات الألمانية» (منشورات الجمل – ترجمة: ناجح العبيدي) الذي كتبه كولدفاي بعد رحلة تنقيبات طويلة في الموقع، إلى اكتشاف بابل مجدّداً. إذ يقدّم المؤلف القيّم القصة الحقيقية لإعادة اكتشاف عاصمة العالم القديم. يتجاوز كولدفاي في كتابه الأعمال والتنقيبات، مقدّماً الفروقات بين الوقائع والأساطير المرتبطة بهذه المدينة التي تناولتها الكتب المقدّسة.

حسن توفيق صفا

انطلاقاً من الصراع الدولي المعاصر، يطرح حسن توفيق صفا في مؤلّفه الجديد «لعبة الجيوبوليتيك – حروب البيادق لحماية الملوك (الصراع الدولي المعاصر من منظار جيوبوليتيكي)» (دار الفارابي) مقدّمة لنشأة الجيوبوليتيك، وأسسه، ومبادئه. كذلك يتوقّف عند أبرز المدارس الجيوبوليتيكية المعاصرة مظهّراً الفروقات بين الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية. أما القسم الثاني من الكتاب، فيتوقّف عند أبرز التحوّلات التي طرأت على لاعبي الجيوبوليتيك، من خلال تجربة الحرب الباردة وواقع الصراع العالمي المعاصر.

إلزا دورلين

تستعيد إلزا دورلين في «فلسفة العنف» (دار الساقي - ترجمة: جلال بدلة) نشأة الدفاع السياسي عن النفس بوصفه ضرورة حيوية وصيرورة سياسية واحدى ممارسات المقاومة في العالم. غير أن الأكاديمية في جامعة باريس 8، تخلص إلى أن هذا الدفاع ينتج كائنات تعجّل من لقاء حتفها كلّما زادت قدرتها على الدفاع عن نفسها. تستعين دورلين ببعض الوقائع التاريخية، والقوانين الاستعمارية التي حظّرت حمل السلاح للسكان المحليين أو للعبيد، مقابل تشريعه للمستوطنين، والتي فصلت بين أجساد جديرة بالحماية وأجساد عزلاء.

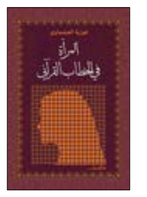

فوزية العشماوي

ترصد فوزية العشماوي ما ذُكر عن المرأة في القرآن منذ الآيات الأولى التي نزلت في مكّة المكرّمة حتى الآيات الأخيرة التي نزلت في المدينة المنوّرة، ضمن بحثها في تقديم المرأة في الخطاب القرآني. في كتابها «المرأة في الخطاب القرآني» (دار الشروق)، تخوض أستاذة الدراسات العربية والإسلامية، بحثاً طويلاً في السور القرآنية المخصّصة لشؤون النساء، ضمن ثلاثة أقسام ترصد فيها بعض الحقوق والقيم التي مُنحت للمرأة، كما تتوقّف عند أبرز الشخصيات النسائية في القرآن مثل «امرأة فرعون»، «أمّ موسى»، «امرأة عمران» ومريم.

أوراق

الإلهة الأكادية «تعامت» في نقش عربيّ قديم

زكريا محمد *

معروفة جيداً الإلهة الأكادية- البابلية «تعامت» التي كان اسمها يُنطق بطرق مختلفة حسب اللهجات العراقية القديمة Tiamat، Têmtum. وهناك خلاف حول اشتقاق هذا الاسم. فهناك من يرى أنه مأخوذ من الكلمة الأكادية tâmtu التي تعني: البحر. لكنّ هناك من زعم أن الاسم أتى من الكلمة السامية الغربية tehom التي تعني: الأعماق، أو الجحيم. وهي تُربط عادة بالتنين التوراتي «لوياثان». وتبعاً لهذا، فقد تُرجم الاسم إلى العربية بعدة صيغ: تعامة، تهامة، تيامات، أو ما أشبه. ونحن لا نجد طريقة لتثبيت اسمها العربي بطريقة متفق عليها.

وفي ملحمة الخلق البابلي (إنوما إليتش = عندما في الأعالي)، كانت «تعامت» الكائن البدئي مع قرينها أبسو، الذي يعتقد أنه يمثل الماء السفلي. وقد ولَدت تعامت أبناء كثيرين، فأدى وجودهم إلى نزاعات وفوضى لا أول لها ولا آخر. لذا يعتقد أن «تعامت» هي إلهة العماء والفوضى البَدئية. أي أنها إلهة الكون قبل أن يخضع للتنظيم.

أما أنا، فأظن أن «تعامت» كانت تمثل الماء البدئي الأول قبل أن ينقسم إلى ماء ملح وماء عذب، وقبل أن ينقسم الماء العذب نفسه إلى ماء علوي (ماء المطر) وماء سفلي (ماء الينابيع والمياه الجوفية). فقد كان هذا الماء البدئي أصل الكون كله. تقول ملحمة الخلق البابلية:

«عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء
وفي الأسفل لم يكن هنالك أرض
لم يكن من الآلهة سوى آبسو أبوهم،
وممو، وتعامة التي حملت بهم جميعاً
يمزجون أمواههم معاً»

إذن، فقد كان الثلاثة البدئيون «يمزجون أمواههم معاً» في البدء. وكانت تعامة- تعامت رمزاً لهذا المزيج الهلامي البدئي. ومن هذا المزيج البدئي، خلق مردوخ الكون كله. بذا فالكون مائي في الأصل. وقد صوّرت الملحمة هذه العملية باعتبارها قتلاً لتعامت. لكن الحقيقة أن ما فعله مردوخ إنما هو خلق الكون كله من الماء البدئي لتعامت. فقد صنع من المزيج الهلامي الماء الملح والماء العذب، وخلق السماء والأرض. بذا فتعامت لم تُقتل، بل أعيدت صياغتها، ودخل النظام والقانون جسدها.

«ثم اتكأ الرب يتفحّص جثتها المسجاة
ليصنع من جسدها أشياء رائعة
شقّها، فانفتحت كما الصدفة
رفع نصفها الأول وشكل منه السماء سقفاً
وضع تحته العوارض وأقام الحرس
ثم جال أنحاء السماء فاحصاً أرجاءها
استقام في مقابل الأبسو
قاس الأب أبعاد الأبسو
وأقام لنفسه نظيراً له، بناءً هائلاً أسماه عيشارا
■■■

أخذ من لعاب تعامة
فخلق الغيوم وحمَّلها بالمطر الغزير
وخلق من لعابها أيضاً ضباباً
ثم عمد إلى رأسها فصنع منه تلالاً
وفجّر في أعماقها مياهاً
فاندفع من عينيها نهرا دجلة والفرات
■■■

ثم نزع عنها شبكته تماماً
وقد تحولت إلى سماء وأرض»

غير أن مقصد هذه المداخلة ليس الكشف عن رمز تعامت، بل البحث عن ضبط لاسمها بالعربية، ليس استناداً إلى الترجمات عن اللغات الأوروبية، ولا حتى إلى الترجمات عن الأكادية- البابلية، بل استناداً إلى نقوش شمال الجزيرة العربية ذاتها، التي يمكن القول، بشكل ما، إنها نقوش عربية قديمة. ففي أحد المواقع المخصّصة لعرض اللقى والمحفورات غير الشرعية، عثرت على حفر على الصخر يصوّر لنا هذه الإلهة. لكن الأهم أن اسمها ذاته منقوش تحت الحفر بحروف واحدة من أبجديات شمال الجزيرة العربية التي ماتت

> في ملحمة الخلق البابلي، كانت «تعامت» الكائن البَدئي مع قرينها أبسو

في حدود القرن الثالث الميلادي، وحلت محلها الأبجدية العربية الحالية، التي تطوّرت عن الأبجدية النبطية، التي تطوّرت بدورها عن الأبجدية الآرامية. وبهذا، نكون قد عرفنا، ولأول مرة، كيف كان سكان شمال الجزيرة العربية، أي العرب القدماء عملياً، ينطقون اسم هذا الكائن الأسطوري.

وكما نرى في الصورة أعلاه، فالحفر يصوّر لنا أسداً، أو سبعاً من السباع، له رأس حية. وهذا يتوافق مع المصادر العراقية القديمة التي كانت تسمّي الحية «أسد التراب». والحفر يصوّر المنظور فقط. لذا تظهر فقط رجل واحدة ويد واحدة للسبع. وإذا استثنينا الرجل واليد والرأس، فهناك خطوط مستقيمة تقسم جسم هذا الكائن إلى سبع خانات. والرقم سبعة مرتبط بتعامت، التي يُعتقد أنها التنين السومري ذو الرؤوس السبعة، أي أن الرؤوس السبعة تحوّلت هنا إلى قطع سبع.

التنين السومري الشهير ذو الرؤوس السبعة. وهو كما نرى، خليطٌ من أسد وحية

لكن، وكما قلنا أعلاه، فإن الأهم من كل هذا أننا نجد تحت صورة هذا الوحش اسمه محفوراً بالأبجدية القديمة، أي بالمسند الشمالي. وأدناه تتبّعي للحفر وللنقش الذي تحته بالخط الملون.

النقش هو اسم الأسد- الحية في الأعلى من دون شك. أي أننا لسنا مع توقيع لصاحب الحفر، بل مع اسم المخلوق الأسطوري. وهو يقرأ من اليسار لليمين هكذا:

وبقراءة الحروف من اليمين لليسار نكون مع مصطفة الحروف هذه: ت ع ع ت م هـ .

ويمكن قراءة مصطفة الحروف هذه على أنها «تـعْ عَتمه»، أو «تعّتمه» أو «تَعَعَتمه». وأنا ميال إلى أنه بالعين المشددة (تعّتمه). وهذا في الواقع قريب جداً من لفظ «تعامت» الشائع الآن. ذلك أن التاء في نهاية الكلمة تصير هاء حين تسكن في لغات لهجات شمال الجزيرة العربية. كما أنه قريب من الصيغتين: Tiamat، Têmtum .

بناءً عليه، يمكن القول إنّ أمر اسم المخلوق الأكادي قد حُسم. فقد كان يُنطق بالعين، وبالعين المضعّفة في أغلب الظن، في شمال الجزيرة العربية. بذا يجب استبعاد صيغة «تهامة» و «تيامات» كترجمة للاسم الأكادي- البابلي.

ولسنا ندري إن كان الاسم تعريباً للاسم الأكادي، أو أنه اشتقّ من فعل شمالي عربي قديم لكي يتوافق من الأسطورة الأكادية، التي هي أسطورة مشتركة. وإذا قد اشتقّ اشتقاقاً فهو من جذر «عتم» الذي يعطي عدة معان من بينها معنى الظلمة. وإن كان من معنى الظلمة، فهو يشير إلى العتمة المائية البدئية. لكن هذا ليس مؤكداً. فمن المحتمل أن الأمر يتعلق بمعنى الإبطاء في الجذر: «وحكى ابن بري؛ العَتَمةُ: الإبْطاءُ أَيضاً؛ قال عمرو بن الإطْنابة: وجِلاداً إنْ نَشِطْتَ لهُ عاجِلاً ليسَتْ له عَتَمه. وحمَل عليه فما عَتَّمَ أَي ما نَكَلَ ولا أَبْطأَ. وضَرَبَ فلانٌ فلاناً فما عَتَّم ولا عَتَّبَ ولا كَذَّبَ أَي لم يَتَمَكَّثْ ولم يتَباطأْ في ضرْبه إياه» (لسان العرب). بذا لعل الاسم جاء من التعتّم بمعنى التلبّث والإبطاء والسكون. ولو صحّ هذا، لكان اسم «تعّتمه» جاء بمعنى الساكن. وربما يعني هذا الماء البدئي قبل أن يصير متحرّكاً فعالاً بتدخل مردوخ أو أمثاله من الآلهة.

وعلى أي حال، فهذا يجب أن يكون محل جدال لا محل حسم.

أخيراً، فقد بدأت تظهر صور أخرى لوحوش محفورة على الصخر يبدو أنها تمثل «تعّتمه». وإليك هذا الحفر الذي عثر عليه شخص يُدعى بدر الغيث.

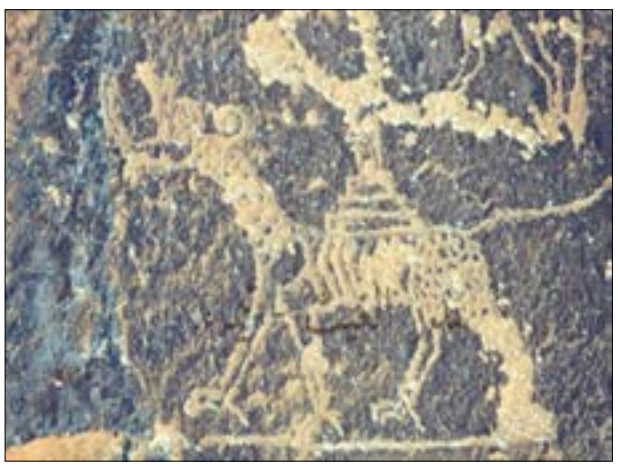

والحفر كما نرى يصور أسداً ما، لكن رأسه أقرب إلى رأس حية- تنين، وعلى ظهره ما يشبه أن يكون تصميم معبد ما.

* شاعر فلسطيني